329

HARLEQUIN

روايات أحلام

أيظن ؟

بربارة ماكماهون

www.elromancia.com

مرمورية

أيظن!

هي ... تحتاج خطيباً لليلة واحدة...
يتوقف مستقبل "مولي ماكواير" على أن تقنع شاباً ذا مواصفات عالية بأن يلعب دور خطيبها ليلة واحدة.
وعندما يضع القدر "نك بيلي" الساحر في طريقها تشعر "مولي" بأنها وجدت الحل لمشكلتها ...
إنه رائع المظهر وناجح ... وممثل ناجح ـ وسيكون رهن أمرها للمدة التي تطلبها.
حصلت "مولي" على ما تريده إلا أن "نك" لن يتركها قبل أن يتأكد من أنه أخذ حقه في الصفقة بالكامل... وبشروطه!

لبنان:	2500ل.ل	البحرين:	1دينار
سوريا:	75ل.س.	السعودية:	10ريال
الأردن:	1.5دينار	مصر:	8جنيه
الكويت:	750فلس	المغرب:	15درهم
الإمارات:	10دراهم	تونس:	2دينار
قطر:	10ريال	عمان:	1ريال

ISBN 9953-15-211-X

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
His Convenient Fiancée
First published in Great Britain 2003
Harlequin Mills & Boon Limited
© Barbara McMahon 2003
Translation © Dar El-Farasha - 2004
ISBN 9953 - 15 - 211 - X

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - ستر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

بربارة ماكماهون

ولدت وعاشت طفولتها في جنوب انكلترا لكنها استقرّت في كاليفورنيا بعد أن عملت سنة كمضيفة طيران.

تزوجت وأنشأت عائلة وعملت في شركة للمعلوماتية. بدأت تكتب الروايات عندما دخل أولادها المدرسة. وبعد أن حققت حلمها بترك عملها النهاري وبالتفرّغ للكتابة انتقلت مع عائلتها لتقيم في جبال سيرا نيفادا، حيث تفتّحت رغبتها بالتأليف أكثر فأكثر. هي تجلس اليوم على شرفة منزلها، تتأمل جمال الجبال بعيداً عن ضجيج سان فرنسيسكو وحياة المدينة الصاخبة. بات لديها الآن متّسع من الوقت لتبتكر روايات وشخصيات جديدة وتتقاسم قصصها مع الآخرين.

تحب بربارة أن تتلقى الرسائل من قرائها.

يمكنكم أن تراسلوها على العنوان التالي:

Po Box 977, Pioneer, CA 95666-0977-USA.

WWW.barbaramcmahon.com.

١ ـ طويل أسمر، خطِر

كانت موللي على شفير الانهيار وهي تسير على الرصيف المزدحم أمام «فندق ماغيللان» باتجاه «ساحة يونيون» وكانت أفكارها مشتتة في ألف اتجاه واتجاه. لم تكن تريد أن تصعد إلى الحفلة، لكن عدم ذهابها سيكون جبناً، ويزيد من الأقاويل التي وقعت ضحيتها طوال الأشهر الثلاثة الأخيرة. إنها حقاً لا تريد أن تضيف المزيد إلى ذلك هذا النهار!

وقفت سيارة أخرى أمام مدخل الفندق الرئيسي. تقدم حارس الباب يفتح باب السيارة، فرأت موللي هارولد سانين وزوجته، وهو أحد أصدقاء جاستين ومن المتنفذين في شركة «زنتك» التي يعملون جميعاً فيها، وكان من سوء حظها أن رأياها في اللحظة نفسها التي رأتهما هي فيها.

كان الزوجان في طريقهما إلى حفلة «زنتك»، وهي الحفلة التي كان يُفترض بها أن تصل إليها منذ حوالى عشر دقائق، وسألها هارولد وهو يقف بجانبها:

ـ مرحباً يا مولي. هذا هو المكان، أليس كذلك؟

فأجابت وهي تبتسم لزوجته بأدب: «في الطابق الخامس والعشرين».

سألها: «هل نذهب معاً؟».

فأجابت كاذبة بسهولة غير عادية: «أنا بانتظار شخص».

ـ آه، ظننتك وحدك!

جاهدت كيلا يبدو العبوس على وجهها. هل أصبح العالم كله يعلم

عن ذلك الانفصال الكبير؟ حسناً، هذا طبيعي فقد حرصت بريتاني على ذلك.

مسكينة موللي! ذلك أن بريتاني لم تكن تقصد أن تقف حائلاً بينها وبين جاستين، لكنهما عندما وقعا في الغرام، ماذا كان بإمكانهما أن يفعلا؟ ألقت هذا السؤال على كل شخص يمكنه أن يسمع، وعادة عندما تكون موللي في مرمى السمع هي أيضاً.

وكررت: «لا، أنا بانتظار شخص».

ومضت تبحث بعينيها بين المارة في الشارع المزدحم.

فقال هارولد: «ستراك هناك، إذن».

بقيت تنظر إليهما بابتسامتها المهذبة الزائفة حتى ابتعدا، فتنهدت ارتياحاً. ظهورها في الحفلة ضروري، وتمثيل دور المرأة المبتهجة ضروري أيضاً. فقد كانت الفكرة من تصميمها على أي حال، وأفكارها المبتكرة هي المحور الأساسي في التوقيع على أحد العقود المربحة للغاية مع شركة «مشاريع هاماكوموتو» الضخمة.

أليس ذلك ما جعل بريتاني تغضب؟ ذلك أن المرأتين كانتا في القسم الفني من «زنتك» وهي شركة رفيعة المستوى ورائدة في تقديم الأفكار للصناعيين. ومنذ اليوم الأول لموللي في العمل، أضمرت بريتاني تايلور الأذى لها.

بعد سبع سنوات تقريباً، كان المفروض أن تشعر موللي بأن وضعها أصبح منيعاً، لكن إغواء بريتاني لجاستين كان القشة التي قصمت ظهر البعير كما يقال.

لن تستسلم موللي لنظرات الشفقة وتمتمات المواساة لانفصالها عن جاستين. لم تعد الآن (الآنسة اللطيفة) كما كان يُطلق عليها... بل سوف ترد الصاع صاعين.

ابتدأت حفلة الافتتاح منذ عشر دقائق. الصحفيون الإعلاميون والمتنفذون كلهم كانوا على قائمة المدعوين. كل شخص مميّز سيكون هناك!

بما في ذلك جاستين موريس...

وبريتاني!

سارت موللي عدة خطوات على الرصيف، والأفكار تتقاذفها. ربما عليها أن تختفي لأسبوعين، ثم تخبرهم بأنها تعرضت للخطف أو ربما بإمكانها أن تقول إنها وقعت والتوى كاحلها.

أو ربما بإمكانها أن تتبنى الفكرة التي عرضتها عليها جارتها شيلي، وهي أن تدّعي بأنها مخطوبة ولكن خطيبها لم يستطع القدوم معها. بإمكان هارولد أن يشهد على أنه رآها فعلاً على الرصيف بانتظار شخص ما.

كان الأمر محزناً... ربماهي المرأة الوحيدة في سان فرانسيسكو التي لم تستطع أن تجد مرافقاً يصحبها إلى احتفال مهني. لكن الرجال الذين تعرفهم إلى حد يجعلها تطلب منهم ذلك، يعملون في شركة «زنتك» نفسها. وآخر ما تريده هو أن يعرف أي شخص في الحفلة أنها كانت تفكر في ذريعة تخفف بها من الأذى الذي سببته لها بريتاني.

عادة، لم يكن ذهابها وحدها إلى حفلة تقيمها الشركة شيئاً مهماً على الإطلاق، لكن ذلك كان قبل مؤتمر الأسبوع الماضي حين طعنت بريتاني في قدرة موللي على الاحتفاظ بمشروع طويل الأمد، وكأن موللي هي التي هجرت جاستين!

صرفت موللي بأسنانها وهي تفكر في بريتاني والآخرين وهم حول المائدة ينظرون إلى بعضهم البعض. إنها تعرف طبعاً أن ذلك غيرة مهنية. ذلك أن أفكار بريتاني الأخيرة، لم تقبلها الشركة، بعكس أفكار موللي.

منذ أربعة أشهر، كانت موللي قد ابتدأت تفكر في حفلة زفاف بينما

كان جاستين يواعد بريتاني خفية، وهكذا تبددت أحلام موللي فور علمها بالحقيقة. إذا كان يريد بريتاني تايلور، فليذهب إليها!

الأسوأ من ذلك هو أنها وجاستين وبريتاني يعملون في الشركة نفسها. وقد شاهد الجميع موللي وجاستين معاً في حفلة عيد الميلاد الماضي. ولكن الجميع يعلم الآن أن بريتاني باتت الآن حبيبة جاستين.

قطبت موللي جبينها، فقد ساءها أن تشعر بأنها منبوذة بينما جاستين يستعرض أمام الجميع ويتباهى ببريتاني البالغة الجمال.

غبية، غبية، غبية! كان عليها أن تكون أكثر حكمة فلا تتواعد مع أحد زملائها في العمل. في كل مرة تراه الآن في الشركة، تتذكر كيف كان يحوم حولها، وتفكر في أنها لم تكن بالنسبة إليه سوى واحدة من كثيرات، وأن بريتاني ستلقى النهاية نفسها، ذات يوم، ولكن ليس الآن.

المتوقع من موللي الآن أن تظهر في الحفلة وتتصرف وكأن الحياة على خير مايرام. تنفست بعمق، وقررت أن تواجه الأمر بأحسن ما يمكنها من ذكاء.

نظرت حولها مرة أخيرة وكأنها تتوقع معجزة، وأدركت أنها ستحضر الحفلة وحدها إلا إذا تمكنت من دعوة رجل غريب وسيم.

لقد حان الوقت لتلبس «محبس» الخطبة الذي أحضرته معها، مصرّة بوقاحة على أنها مخطوبة. إلا إذا تمكنت بريتاني من اكتشاف هذه الخطة. فهذه المرأة ليس من طبيعتها الجلوس بصمت لتدع الآخرين يتابعون حياتهم.

إنها تحب أن تتأمل وتستنتج وتطيل التفكير بخبث.

وتملكها الغضب... لو كان جاستين يشعر نحوها بذرة من المودة لما حضر هذه الحفلة التي يُفترض أن تكون تكريماً لها هي، لا أن يأتي حبيبها السابق الذي يعرف الجميع كل شيء عنه مع حبيبته الجديدة ليسلبا

الأضواء منها بكل دناءة.

أملت أن تنجح في صون ماء الوجه أمام رجال الأعمال المتنفذين فرفعت رأسها ودخلت رأساً إلى بهو الفندق المزدحم حيث لفت نظرها لافتة تشير إلى اليسار كتب عليها: «مقهى ماغيللان».

كان المقهى خالياً إلا من رجل وامرأة يبدو أنهما في شهر العسل يجلسان إلى مائدة بجانب الجدار ورجل متكىء على البار في آخر المقهى يتحدث مع النادل. كان واضحاً أن الوقت مازال مبكراً.

سارت إلى البار وجلست بحذر على المقعد المرتفع. وترك الساقي حديثه وتوجه إليها قائلاً بابتسامة ودود: «أي خدمة؟».

وفكرت بكآبة في أنه لا بد لا يعلم شيئاً عن مسألة بريتاني ووضعها هي، وإلا لاستحالت ابتسامته هذه إلى شفقة: «أريد كأساً من الصودا... لا، انتظر، فأنا أكره الصودا... أعطني كأس عصير حالاً... لا، انتظر، ربما فنجان قهوة سيفي بالغرض... لا، انتظر حضر لي كوكتيل عصير...».

فسألها الساقي: «ما الذي تريدينه حقاً؟».

ـ ما أريده حقاً، حقاً... هو رجل طويل أسمر خطر.

قالت هذا بكآبة، متمنية لو أن بإمكانها أن تأمر بإحضار خطيب مؤقت بنفس السهولة التي تطلب بها كأس شراب. نظرت إلى ساعتها فوجدتها تشير إلى الرابعة والنصف تقريباً.

إذا لم تذهب إلى الحفلة حالاً، فسوف تبدأ الأقاويل.

فقال: «وما رأيك في أشقر ودود؟».

ـ ماذا؟

ونظرت إلى عينيه الزرقاوين اللامعتين تحت شعره الكثيف الأشقر. بدا لها الرجل ظريفاً للغاية، ولكن ليس من النوع الشاعري.

- لا. إما أن يكون طويلاً أسمر خطراً، وإما لا شيء على الإطلاق.

سألها وهو يحضر لها الكأس: «لديك مشكلة؟».

- وهل كل من يأتي إلى هنا لديه مشكلة؟

- فقط أولئك الذين يأتون عند الرابعة عصراً.

ووضع الكأس أمامها: «وأنا شبه عالم نفساني».

- هممم...

ارتشفت بعض العصير ثم نظرت إلى ساعتها مرة أخرى، كان الوقت يتأخر. أترى ابتدأت بريتاني بالحديث والتحريض عليها؟ بإمكانها أن تسمع تلميحاتها السيئة الخفية وترى البراءة في عينيها الواسعتين وهما تدعيان العطف. وتساءلت موللي إن كان بإمكانها أن تواجه مباراة أخرى.

سألها الساقي: «هل تنتظرين رجلاً على موعد؟».

- يا ليت! المفروض أن أكون في حفلة «زنتك» الآن في الطابق الخامس والعشرين.

- عادت ترشف كأسها، ثم فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها خاتم جدتها ونظرت إليه، ثم نظرت إلى الرجل: «إذا أنا لبست هذا، هل ستظنني مخطوبة؟».

- وهل أنت مخطوبة؟

- ليس هذا هو الموضوع، ماذا كنت ستظنني؟

- كنت سأظن أن امرأة جميلة مثلك مقبولة بخاتم خطبة أم من دونه.

طرفت بعينها وابتسمت: «أوه، ربما الأشقر الظريف سينفع على كل حال».

غمزها مشيراً إلى الطرف الآخر من البار، فنظرت إلى هناك ورأت رجلاً أسمر عابساً.

تأملته لحظة، فرأته ملائماً... إنه طويل أسمر وخطر حتماً. بدا أشبه

بقرصان في بذلة عمل. لم يكن وسيماً بالضبط لكن هالة الغطرسة التي تحيط به بإمكانها أن تردع بريتاني وتعيدها إلى حجمها. من تراه يا ترى؟

وعادت تنظر إلى الساقي الودود: «إنه ينفع».

- أتظنين ذلك؟

- هذا إذا توقف عن العبوس ليبدو خطيباً مغرماً. لكنني أظنني سألبس الخاتم وأعتذر من الحاضرين.

- عم تعتذرين؟

- أقول إن شيئاً طرأ في اللحظة الأخيرة فلم يستطع خطيبي الحبيب أن يحضر.

- وما الحاجة إلى خطيب حبيب؟

سألها وهو يتكىء على البار مستعداً، كما يبدو، للإصغاء حتى النهاية.

عادت تشعر بالاحراج الذي سبّبه لها انحراف جاستين. غريب، فهذا هو الاحساس الوحيد الذي شعرت به، ألم تكن تحبه حقاً؟ لقد كانت تستمتع بصحبته. حتى أنهما تحدثا عن الزواج. أليس من المفروض أن يكون قلبها محطماً؟

لكنها، بدلاً من ذلك، كانت تشعر بالإحراج ليس إلاّ. وأجابت: «لحفظ ماء الوجه. هل تعلم أن اليابانيين يهتمون كثيراً بحفظ ماء الوجه؟».

- ما دخل اليابانيين في الموضوع؟

- سيكون في الحفلة عدد من اليابانيين. أنا أعرف السيد ياما موتو والسيد هاريشي. إنهما يحبان تصميماتي، ولهذا عليّ أن أحضر. لكن الأمر سيكون أسهل بكثير لو واجهت الجميع برفقة خطيبي.

- والسبب؟

- سيكون الأمر أسهل لأن الرجل الذي كنت سأتزوجه سيكون موجوداً مع حبيبته الجديدة. لقد حاولت جهدي أن أتجنب أياً منهما طوال أسابيع، لكن الأمور لا تنجح دوماً بهذا الشكل. فأنا أريد أن أرقص خالية البال مع شخص وسيم. جاستين وبريتاني زميلان لي في العمل، ولهذا يعرف الجميع الوضع ويشعرون بالأسف لأجلي. وأنا أكره ذلك.

- والخطيب الطويل الأسمر الخطر سيمنحك الشعور بخلو البال الذي تحتاجينه؟

- نعم!

فضحك: «لدي الرجل المناسب، ويمكننا أن نصيب عصفورين بحجر واحد. انتظريني».

ثم توجه إلى آخر البار، بينما أخذت تراقبه بلهفة. هل حقاً سيطلب من ذلك الغريب الطويل الأسمر أن يمثل معها دور الخطيب؟ حتى ولو فعل ذلك، لا يمكن أن يوافق الرجل أبداً. لا يبدو من ذلك النوع الذي يوافق على شيء لا يتماشى مع مصلحته الشخصية. ألم يكن جاستين كذلك؟

كانت حينذاك تشعر بالغرور إزاء اهتمامه بها، أما الآن فهو يعاملها وكأنها حمقاء مسلوبة اللب أساءت تفسير صداقته.

إذا تورطت بعلاقة أخرى مع أي شخص الآن، فستحرص على أن يكون ودوداً طيباً وليس لديه رغبة خفية للتقدم إلى الأمام.

هز ذلك السيد الطويل الأسمر رأسه فهبط قلبها. أتراها حقاً كانت تأمل في أن يوافق؟

لم تستطع أن تسمع الحديث، لكنها رأت الساقي يناقش معه الموضوع. شيء قاله لابد ترك تأثيراً، فقد تأملها الغريب لحظة طويلة، ثم ألقى نظرة خاطفة على ساعته، ثم على باب المقهى، ثم وقف وتوجه

نحوها.

خفق قلب موللي. رباه، أترى الرجل جاء ليتحدث إليها؟ اشتدّت يدها على الخاتم. وتسمّرت نظراتها عليه وهو قادم. لقد كانت تمزح مع الساقي عندما قالت له ذلك.

- أنا بايلي. دوني يقول إنك بحاجة إلى مرافق إلى حفلة شركة «زنتك».

ابتلعت ريقها بصعوبة. هل ستحصل حقاً على رجل طويل أسمر خطر؟: «نعم، كلا في الواقع، أنا بحاجة... أعني أريد، أعني... شيئاً أكثر من مجرد مرافق. أنا بحاجة إلى خطيب مؤقت... لهذه الليلة فقط»...

قالت هذا بسرعة، فرفع حاجبه: «طوال الليل؟».

- أوه، لا! لأجل الحفلة في الطابق الأعلى فقط. وهي ستنتهي الساعة الثامنة على الأكثر.

تأملها لحظة وكأنه يزن كلماتها: «ما الذي تتوقعينه بالضبط من خطيب مؤقت؟».

- ليس كثيراً.

وشملته بنظراتها وقلبها ما زال يخفق بشكل غريب. كان طويلاً بالغ الأناقة وقد بدت بذلته ثمينة للغاية وعيناه السوداوان تتفحصانها بثبات. وارتجفت... مازال يبدو شبيهاً بقرصان.

لكنها ابتسمت له، وتملكها شعور عنيف بالطيش: «كل ما عليك فعله هو الوقوف بقربي وأظن بإمكانك القيام بذلك على أكمل وجه. وسأقدمك إلى أناس مختلفين، ولكن ليس عليك أن تفعل أو تقول شيئاً كثيراً. ويمكنني، فيما بعد، أن أدعوك إلى العشاء على حسابي إذا شئت كعربون شكر».

- إذاً كل ما عليّ أن أفعله هو أن أكون موجوداً؟

فأومأت. سيكون كاملاً لا عيب فيه. إنه أطول من جاستين، وأكثر رجولة منه بعشر مرات. وقد جعلها تشعر بأنه خطيب حقيقي.

- آه، ربما ليست هذه فكرة جيدة على كل حال.

ونظر ساخطاً إلى الساقي، ثم أومأ لموللي: «لا بأس، سأذهب معك. إذا استطعت أن تنتظري عدة دقائق، فأنا أتوقع حضور شخص».

ونظر إلى ساعته.

- أحقاً ستذهب معي؟

ونظرت هي أيضاً إلى الساقي الذي ارتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة: «آه، لماذا؟».

سألته خائفة من أن تصدّق حسن حظها.

- لِمَ لا؟

- لأنك لا تعرفني.

- ليس بإمكانك أن تفعلي الكثير في قاعة مليئة بالنساء ورجال الأعمال. كما أنك أنت أيضاً لا تعرفينني.

فقالت بتبلّد: «لا يبدو عليك أنك من النوع الذي يقدم خدمات للغرباء».

- ليس عادة. ولكن في هذه الحالة، سيساعدني هذا على الخروج من مأزق، أنا أيضاً.

- آه...

ونظرت إلى الخاتم ثم وضعته في إصبعها. كانت على صواب، فهو رجل لا يسير إلا وفق خطة مرسومة. ولحسن الحظ تطابقت خطته مع خطتها الليلة: «لا بأس إذن. لن يدوم ذلك طويلاً وأنا شاكرة لك. اسمي موللي ماغاير».

- موللي ماغاير؟

- أنا أعلم أن معنى اسمي في لهجتنا المحلية الإرلندية هو بلادة الإحساس ولكن لا تصدق هذا.

بدت التسلية في عينيه وهو يقول: «أدعى نك بايلي».

وقبل أن تصافح يده الممدودة، إذا بصوت امرأة مثير يخترق جوّ المقهى: «نك حبيبي، كنت أبحث عنك في كل الأنحاء. قال لي أحد الحرس إنه رآك تدخل إلى هنا».

استدارت موللي فرأت امرأة مثيرة داكنة الشعر. وللحظة، تمنّت لو أن شعرها هي البني الفاتح القصير طويل أسود كشعر هذه المرأة، ولو أن بإمكانها أن تبدو ممتلئة داخل ثيابها كهذه المرأة.

توقفت عن تأملاتها عندما انتبهت إلى أن جسم الرجل الذي بجانبها قد تصلّب وازداد اقتراباً منها قبل أن يحيي القادمة الجديدة: «متى عدت إلى المدينة يا كارمن؟».

قال هذا باتزان، لكن نبرة توتر بدت في لهجته. لم تفهم موللي ما كان يحدث، لكنها أدركت أن الأمور تتوتر.

- أخبرتك أنني سأعود، يا حبيبي، وليس في نيتي الرحيل قبل أسابيع.

وتقدمت كارمن إليه لتعانقه لكنه تحوّل جانباً وهو يضع ذراعه حول كتفي موللي: «موللي، أعرّفك إلى كارمن هيرنانديز، وهي صديقة قديمة. كارمن، لا أعتقد أنك سبق وقابلت موللي... خطيبتي».

- خطيبتك؟

توهج وجه كارمن اللاتيني المثير غضباً: «ما الذي تعنيه بحق الله؟».

ونظرت إلى موللي غير مصدقة، ثم عادت تنظر إليه متابعة: «إذا كان هناك من سيتزوج، فهو أنا وأنت! أي لعبة تلعبها؟ لا أصدق هذا. لا

يمكنك أن تتخلي عني بهذه السهولة. أنت لي وليس لامرأة أخرى».

وازداد غضبها وتوهج وجهها. وحملقت بموللي بعينيها السوداوين: «لا أدري من تظنين نفسك، لكنه لي».

وشملت موللي بنظرة احتقار: «ليس لديك ما يجذب رجلاً مثل نك».

ثم عادت تنظر إليه: «نك...».

فقالت موللي: «ربما عليكما أن تتناقشا على انفراد».

لقد لسعها كلام المرأة. أتراها تظنها تتقبل الإهانات بهذه السهولة؟

شدّد نك ذراعه حول كتفها وكأنما يواجهان العالم معاً. فكرت في أنه تمثيل حسن من جانبه رغم أنها تساءلت أي وضع جعلت نفسها فيه. كانت تظن أنها بحاجة إلى عون، لكن الظاهر أنها ليست الوحيدة في ذلك.

هل كان نك بايلي في نفس وضعها؟

يا للسخرية! ومع ذلك فهذا يفسر سرعته في الموافقة على اقتراحها الغريب. وشعرت موللي وكأنها دُفعتْ إلى خشبة المسرح من دون نص مسرحي.

قال نك مواجهاً ثورة كارمن: «لكننا انفصلنا منذ أسابيع».

قال ذلك بلطف لكن موللي شعرت بالفولاذ وراء هذه الكلمات. وكانت تحب الرجل الذي يخفي النار وراء هدوئه. وأجابت المرأة بلهجة مثيرة وهي تمدّ يدها لتمسك بذراعه:

ـ نعم، أنت قلت إن علينا أن ننهي الأمور بيننا، لكنني لست مستعدة لذلك، فأنا أحبك، وأنت تعلم ذلك.

ـ كارمن، لقد انتهينا، ولا شيء في العالم يمكن أن يغير هذه الحقيقة. هذا إلى أنني خاطب الآن امرأة أخرى.

ورفع يد موللي يريها تألق الماسة في الخاتم.

بالكاد نظرت المرأة إلى الخاتم حتى حولت نظرها إلى موللي مباشرة: «ربما تظنين أنك أحرزت نجاحاً بالغاً في إغواء نيكولاس بايلي، ولكن دعيني أخبرك أن الأمور لا تنتهي هنا».

ثم رفعت عينيها الغاضبتين إلى نك: «لا يمكنك أن تتخلص مني بهذه السهولة، أيها العاشق».

ثم استدارت خارجة من المقهى بخطوات سريعة، خلافاً لتلك الخطوات البطيئة المثيرة التي دخلت بها.

قال الساقي: «انتهى الأمر بشكل جيد».

ـ إخرس.

أجابه نك بهذا. ثم ترك موللي ورفع حاجبيه: «هل نتوجه إلى حفلة «زنتك»؟ بعد تصرف كارمن ذاك، سيبدو هذا سهلاً».

ـ على الأقل هذا يجيب على سؤالي عن سبب موافقتك على هذا المشروع. كنت بحاجة إليّ بقدر ما كنت أنا بحاجة إليك، أو أكثر كما أظن. فأنا أشك في أن جاستين سيصبح عاطفياً للغاية إذا سمع بخطبتي.

قطب نك جبينه: «ستهدأ».

فقال دوني: «لكنني أشك في أن تكون هذه آخر مرة نراها فيها. لو كنت مكانك لتوقعت رؤيتها في العرس، فهذه طريقتها الوحيدة للتأكد».

قال الساقي هذا فنقّلت موللي نظرها بين الرجلين: «أي عرس؟».

فقال نك: «عرسنا طبعاً. هيا بنا لنرى من يمكننا أن نصدمه في حفلة «زنتك».

* * *

٢ ـ تمثيل

كانت موللي ونك وحدهما في المصعد المتوجّه بهما إلى الطابق الأعلى في ذلك الفندق المترف، وكانت أفكارها تدور. ستدخل الحفلة مع هذا الرجل البالغ الحيوية، الذي يفترض أنه خطيبها. هل من الممكن أن تستمر هذه الخطبة؟

هذا ما فهمته كارمن في فورة غضبها. لكنها، عند التفكير، هل ستدرك مدى استحالة ذلك؟

قال بفظاظة: «ما فهمته هو أن رجلاً تركك لأجل حبيبة أخرى وتريدين أن تبدي له أنك مخطوبة لئلا يظن أنك متكدرة بسببه».

فقالت وقد أغاظتها طريقته في الكلام: «أرى أن التدرب على الإحساس يلعب دوراً هاماً في حياتك».

ـ ماذا؟

ـ لا تهتم! أظنك فهمت ذلك. وإذا سمحت لي باقتراح، لا أحد سيصدق أننا مخطوبان إذا بقي الغضب على ملامحك. هل يمكنك أن تبتسم أو ما شابه؟ وأثناء ذلك هل يمكنك أن تتظاهر أنك تراني فاتنة؟

ـ فاتنة؟

فأومأت: «دوماً كنت أريد أن أفتن أحداً. ألا تظن أن الخطيبة الجديدة يمكنها أن تكون فاتنة؟».

ـ تماماً.

عرفت من لمعان عينيه أنه كان يسخر منها. فليكن ذلك مادام يفعل ما طلبته منه. ما تريده فقط هو أن تجتاز هذه الحفلة، وبعد ذلك يمكنها أن تؤلف قصة تفسخ بها خطبتهما خلال أسابيع قليلة. وعندما يرى زملاؤها في العمل نك فإن كل شفقة على موللي المهجورة ستتلاشى فوراً.

كان الاحتفال في أوجه عندما دخلا قاعة الرقص الفسيحة المزّينة التي تطلّ على مناظر رائعة لسان فرانسيسكو.

ـ ها أنت أخيراً يا موللي؟ كنت أسأل عنك.

حياها رئيس الشركة جون بيلينغز ثم نظر إلى نك بفضول:

ـ مرحباً يا جون. أقدم إليك خطيبي نك بايلي، ونحن آسفان لتأخرنا هذا، فقد حدث ما أعاقنا.

سبق السيف العذل. ورجت أن لا تكون اقترفت غلطة كبرى..

ـ سعيد بمقابلتك، يا نك. لقد سمعت شائعات تقول إن فتاتنا موللي تصادق شخصاً غير عادي. لابد أن تعلم كم نحن فخورون بموللي وعملها. لقد كان حجر الأساس في هذا الاحتفال، ومن دونها ما كنا أقمنا هذا الاحتفال اليوم.

توهج وجهها سروراً ودهشة. لم تكن تتوقع مثل هذا التكريم. وازدادت دهشتها عندما وضع نك ذراعه حول خصرها وقال: «موللي ذات عزيمة بالغة. لا تستسلم ما لم تحصل على ما تريد».

شعرت بالأحاسيس تتفجر من لمسته، ونسيت طبيعة الحديث لحظة. لم يتملكها من قبل شعور كهذا من مجرد لمسة. ما الذي يحدث؟

تابع جون سيره، وتحدث إليها آخرون أثناء سيرها يهنئونها على جودة تصميماتها، متبادلين التحيات، وكانت تقدم نك إلى الجميع.

وفجأة أفسح القوم طريقاً ليمر منه جاستين وبريتاني، وهدأ المحيطون بموللي، وأخذوا يرقبون المشهد بشوق.

قال جاستين: «موللي، تسرنا رؤيتك. كنا نتساءل أين أنت. هل جدّ عليك عمل في آخر دقيقة؟».

ـ ماذا حدث يا موللي؟ كنا قد ابتدأنا نتساءل عما إذا كنت ستحضرين أم لا؟

قالت بريتاني هذا وهي تتأبط ذراع جاستين وكأنها غريق يتمسك بحبل النجاة. كانت الشقراء الطويلة ممشوقة القوام والثوب الأزرق الفضي محكم التفصيل على جسمها النحيل.

شهدت لها موللي بالأناقة الآن. ولكنها للمرة الأولى، لم تهتم ببريتاني، أو جاستين. كانت تستمتع بتذوق لحظة النصر.

تقدم نك ماداً يده: «أنا السبب في تأخير موللي. أنا نك بايلي. هل تعملان لدى مولي؟».

كانت نظرة جاستين المجفلة لا تثمّن.

قطب جبينه وصافح نك وهو يهز رأسه: «أنا لا أعمل لدى موللي. بل نعمل معاً أحياناً في المشاريع. أنا جاستين موريس، محاسب في شركة «زننك».

ونظر إلى موللي: «لم أكن أعلم أنك ستحضرين مع شخص ما».

ـ أحقاً؟

أجابته موللي وهي تنظر باسمة إلى نك وقد أجفلت عندما رأت الدفء في نظراته إليها. وعاد يحيط كتفها بذراعه بينما تابعت هي تخاطب جاستين: «ما الذي يجعلك تفكر في ذلك؟».

قالت هذا دون أن تنظر إلى بريتاني بينما قال نك: «من الصعب أن أدع شيئاً يشاركني في موللي، لكن هذا الاحتفال كان هاماً بالنسبة إليها، ولهذا جئنا. التأخر خير من العدم كما يقال».

ومرّ على بريتاني بنظرة عدم اهتمام عابر، ثم عاد بانتباهه إلى موللي.

كادت موللي تقهقه ضاحكة وهي ترى ذهول بريتاني. فهذه، بجمالها، لم تعتد أن يرمقها الرجال بنظرات عابرة.

نظرت موللي إلى جاستين وشعرت بوخزة مفاجئة. لقد أضاعت أسابيع سدى في الحداد على نهاية علاقتهما، ثم هاهي ذي الآن لا تشعر بشيء. أتراها متقلّبة إلى هذا الحد؟ أم كانت رغبتها مجرد مباهاة بأن لديها حبيباً تخرج معه إلى المطاعم الحديثة الطراز وإلى الحفلات والنزهات؟

مهما يكن، فقد شعرت بالارتياح الآن كونها لم تعد تحت سحره، ولم يعد لديها ما تثبته لجاستين أو بريتاني.

قالت: «علينا أن نتابع سيرنا. لقد قابلنا جون وأنا أريد الآن أن يقابل نك شركاءنا اليابانيين الجدد».

ـ هل هذا خاتم خطوبتك؟

سألتها بريتاني هذا وهي تحملق غير مصدقة في يد موللي.

رفعت موللي يدها مباهية بخاتم زواج جدتها. عند ذلك التقط مصور صورتين فأجفلوا للوهج المفاجيء.

رتبت بريتاني نفسها ومالت قليلاً باسمة نحو المصور، بينما تراجعت موللي خطوة إلى الوراء إلى جانب نك. ثم رفعت بصرها إليه باسمة: «هل نقترب أكثر من بعضنا البعض؟».

فمال إلى الأمام وهمس: «هل ما فعلته يكفيك؟».

فقالت بصوت خافت: «عملك عظيم، وأنا أقدّر لك هذا».

وسطع وهج آخر. قررت موللي أخيراً بأن تدع جاستين وبريتاني يلتمسان الأضواء. كانت مستعدة للذهاب، فقد أنجزت مهمتها.

وقالت وهي تبتعد: «نستأذن».

وعندما أخذا يخترقان جموع الضيوف كانت يد نك على كتفها. فقالت راضية: «هذا كل ما كنت أطلبه. شكراً».

- مواجهة جاستين وبريتاني... هل هذا هو السبب الوحيد لهذه الخدعة العظمى؟

- بريتاني أكثر، فأنا لا أطيقها، لقد عملنا معاً في شركة «زنتك» مدة سبع سنوات تقريباً، ومع ذلك لم نتّفق.

- إنها امرأة أنانية.

- معظم الرجال يجدونها فاتنة.

فقال بحزم: «بل معظم الرجال يجدون جسدها فاتناً وهذا مختلف».

- لا أدري ما الفرق.

- ربما عليك أن تكوني رجلاً لتدركي الفرق. والآن أخبريني يا موللي ماغاير، ما هو عملك في شركة «زنتك»؟ فكرة رئيسك عنك رفيعة.

- عملت في الشركة منذ تخرجت من كلية الفنون. وأنا أحد مديري القسم الفني الآن، وحديثاً حالفني الحظ وحصلت على مشروع شركة «هاماكوموتو».

- هل أنت محظوظة؟ أم موهوبة؟

فضحكت: «يعجبني تفكيرك. أنا أهتم بالتصميمات التخطيطية والإعلانات».

- وما هو دور جاستين في كل هذا؟

- إنه رجل ارتبطت به فترة من الزمن، ولولا تصرف بريتاني الفظيع لما كان لانفصالنا أهمية كبرى. لكنها امرأة قذرة وقد سئمت من موقفها المتعالي.

ونظرت من فوق كتفها فرأت المرأة تتحدث إلى المصور. ربما ترتب أمر صورة أخرى يمكنها أن تفيدها بشيء: «جاستين هو أحد المحاسبين المتنفذين في الشركة، ونحن غالباً ما نعمل معاً. أردت أن أسترد كرامتي أمام بقية الفريق، فمن الصعب أن أشعر دوماً أنني موضوع شفقة حين

أدخل أي مكتب».

- إذاً أنجزنا المهمة وانتهينا هنا؟

فأومأت: «حالما ننتهي من الحديث مع زبائننا. هل أنت مستعجل للرحيل؟».

فهز رأسه: «كانت مواجهتنا هنا أخف من مواجهتنا لكارمن».

ابتسمت موللي وهي تومىء محيية ضيفاً آخر: «لو كان جاستين لاتينياً، أتظنه كان سيظهر الغضب؟».

نظر نك إلى الجموع فرأى جاستين: «لا، إلا إذا كان هذا يخدم مصالحه».

- إنه يركّز على الفرصة الرئيسية، التي هي ترقيته. ولكن ألسنا جميعاً من الطراز نفسه؟

- ربما كلامك صحيح.

رغم شكوكها الماضية، أدركت أنها مستمتعة بالحفلة. كانت تشعر بوخزة ذنب في كل مرة قدّمت فيها نك بصفته خطيبها، ولكن خفف من ذلك علمها بأن أكثر من تحدثت إليهم لا يعرفونها إلا من خلال صلة العمل. فرتبت الأمر بحيث ينتشر خبر الانفصال خلال أسبوعين.

انتهت الحفلة حوالى الثامنة، ولم يكن لديها ما تشكوه بالنسبة إلى اهتمامه الذي كان مركزاً عليها طوال الوقت. في الواقع كان ذلك تصرفاً ذكياً منه.

وتملك موللي شعور بالأسف لانتهاء الحفلة.

- شكراً مرة أخرى يا نك. وأنا ممتنة لك كل ما فعلته.

- العون كان متبادلاً. كان دوني يعلم أن كارمن ستثير المتاعب.

- ألم تتكهن أنت بذلك؟

- لقد انفصلنا منذ شهرين وهي تعلم ذلك، لكنني سمعت أنها قادمة

هذا النهار، ففكرت في أن المواجهة في المقهى في مثل هذا الوقت أسهل منها في مكان أكثر ازدحاماً. ذلك أنني لم أكن أريد أن أنفرد بها. إياك أن تثق بامرأة تحتقرها، كما يقال.

- هذه نصيحة سأتذكرها دوماً. إنها تبدو من النوع المولع بإثارة المشاكل بين الناس.

- إنها تحب الاستعراض مثل بريتاني صديقتك.

- أرجوك بريتاني ليست صديقتي. ولا أريد أن أراها مرة أخرى.

- لكنها ستكون غداً صباحاً في الشركة كعادتها.

- آه، حسناً هناك أشياء يجب الصبر عليها.

على الأقل ارتاحت موللي من شفقة زملائها في العمل. فقد سرّ أكثرهم بالتعرف إلى نك، وبدت عليهم السعادة لأجلها.

- هل لديك سيارة؟

- لا، فقد جئت في تاكسي. سأنادي سيارة وأصل إلى البيت بسرعة فائقة.

أومأ إلى حارس الباب فأحضر لها تاكسي في لحظة.

مدّت يدها إليه لتصافحه: «شكراً مرة أخرى يا نك لمساعدتك».

- أنا واثق من أن للخطيب بعض المزايا.

ثم أخذها بين ذراعيه في عناق سريع.

ما الذي يحصل؟ لم تدرك موللي ما يحدث. عدة ساعات من الثرثرة مع هذا الرجل ومازالت جاهلة به. لم تكن تتوقع عناقه ولا استجابتها له: «الوداع، يا موللي ماغاير».

تنهدت وهي تنظر إليه من نافذة السيارة التي كانت تبتعد بها.

جاستين ليس الرجل الذي يجب أن تبكي على فراقه إنما هذا الرجل، نك بايلي.

٣ ـ خدمة مدفوعة

في صباح اليوم التالي، أخذ نك يحدق في الصحيفة التي وضعتها سكرتيرته على مكتبه، وقد تملكه الغضب... تباً! كان عليه أن يتكهن بذلك الليلة الماضية. والآن، عليه أن يصلح ما أفسده قبل أن تخرج الأمور من يده.

سألته هيلين: «هل هناك ما تريد قوله يا سيدي؟».

عملت معه هذه المرأة البالغة الخامسة والخمسين من العمر، منذ استلم إرثه من أبيه والمتمثل في سلسلة «فنادق ماغيللان» التي تغطي الساحل الغربي. وكان «فندق فلاغشيب» هو الأول، وقد جعله مركز قيادته كما فعل أبوه قبل وفاته منذ عشر سنوات.

تباً! لماذا لم يفكر في الصحف عندما أخذت الكاميرات له الصور الليلة الماضية؟

تملكه، وهو ينظر إلى الصور، شعور بالضيق. هل كان الأمر مجرد خطة موضوعة؟ نوعاً من الخداع؟ تمثل دور الخطيبة، لتبدأ بعد ذلك بابتزازه؟ أم أنها مجرد محاولة منها للتعرف إليه أملاً في نوع من الربح؟

تعوّد نك على ملاحقة النساء له منذ ابتدأ في دنيا الأعمال... طمعاً في حصة من ماله أو التألق الذي تجلبه إدارة الفنادق. لكنه لم يكن يتوقع شيئاً كهذا.

كانا، هو وموللي، يحتلان عناوين القسم الاجتماعي في الصحيفة.

مالك الفنادق الكاره للزواج يستقر أخيراً... نك بايلي يتزوج.

كان واثقاً من أن دوني لم يكن يتوقع النتيجة عندما اقترح أن يمثل نك دور الخطيب لفتاة غريبة.

كان الاقتراح يستحق التفكير نظراً لمتطلبات كارمن المتزايدة. ولقد حاول فسخ علاقتهما برفق، لكنها لم تفهم أن ما بينهما قد انتهى.

وشعر بوخزة من خيبة أمل وهو يفكر في أن موللي ستسرع إلى الاتصال به مقدمة اقتراحاً أو طالبة شيئاً.

وقفت هيلين بجانب المكتب، متأملة الصور، مائلة إلى الأمام لتقرأ المقالة. ثم تمتمت: «لم أرسل إليها أزهاراً أو أحجز لها مائدة في أي من مطاعمك المعتادة».

- ليس الأمر كما تظنين.

قال هذا وهو يطوي الصحيفة ثم يلقي بها إلى زاوية المكتب. لقد طلب من دوني أن يتحرى عن موللي ماغاير وما تسعى إليه، وأن يقضي على أي شيء قد يكون نما في ذهنها.

قالت هيلين: «ما الذي عليّ ألاّ أظنه؟ ألا تعني الخطبة التصميم على الزواج؟».

- مخبر الصحيفة أخطأ. نحن غير مخطوبين.

- في إحدى الصور يبدو خاتم الخطبة.

- هل وصلتك الأرقام من موقع البناء في «بورت لاند»؟

- هل تغيّر الموضوع يا سيدي؟

قالت هذا وهي تعود إلى مكتبها وتأخذ في مراجعة التقارير والملفات المكدسة.

وعندما رن جرس الهاتف تناولته بسهولة ثم رفعت بصرها باسمة: «دوني على الخط يا سيدي».

فاختطف السماعة: «تباً لك ولأفكارك اللعينة!».

- أظنك قرأت الصحيفة.

- لم أفكر قط في أن الصحافة ستكون هناك.

- ربما مولي هي التي تدبّرت هذا طمعاً بالمال أو بمصلحة. ما الذي نعرفه عنها؟

- إنها تبدو طيبة بما يكفي. هل تريدني أن أتحرى عنها؟

- نعم، وأخبرني إذا وجدت شيئاً ذا أهمية.

- أنت محظوظ لأنك لم تظهر على نشرة الأخبار، فقد كان العناق جيداً.

- أي عناق؟

كان ذلك العناق جيداً ولكن كيف عرف به دوني؟

- ألم تر الصفحة الثانية؟

قلب نك الصفحة إلى حيث بقية المقالة، فرأى صورة لعناق وداعه، تباً لذلك!

وسأله دوني: «إذاً، هل ستراها مجدداً؟».

- لا، فقد كان ذلك لليلة واحدة فقط. هل نسيت؟ تباً! ألست أنت الذي سعيت بذلك؟ هذه المقالة تبدو مشبوهة. عليك أن تتحرّى عن سبب نشرها وانظر ما بإمكاننا فعله لإصلاح الأمر. كذلك عليك أن تكتشف ما هي لعبة موللي.

- هيه... أنا أعيش للعمل، هذا صحيح. ولكن أليس لديك من يمكنه القيام بعمل أفضل؟

- وأدع أناساً آخرين يعرفون الوضع؟ هذا مستحيل.

- وكارمن؟

- لقد فهمت الأمر أمس.

www.elromancia.com

- إلى أن تراك في مكان ما من دون خطيبة. فإذا اشتبهت في أن هناك خلافاً بينكما، ستعود إليك هذه المرة بشكل يجعل رجوعها عنك مستحيلاً.

- هذا جميل. سأهتم بذلك في حينه. ألم تفعل شيئاً بعد بالنسبة إلى الأمر الآخر؟

- أعطني فرصة، يا نك، فقد ابتدأت لتوّي منذ يومين. هذه الأشياء تأخذ وقتاً. عليّ أن أبدي المودة قبل أن يفضي إليّ أي شخص بالأمر. فإذا استعجلت الأمور سيشككون إلى الأبد.

كان دوني مورغان قد أنشأ وكالة للتحريات الخاصة منذ عدة سنوات بعد أن عمل عشر سنوات في «قسم شرطة لوس أنجلس».

وكان نك قد استخدم ابن خالته هذا ليتحرى عما إذا كان هناك اختلاس في المقهى، ذلك أن أرقام المبيع تدهورت مؤخراً على الرغم من ازدحام المكان الدائم. تملكته الشكوك لكنه كان يريد برهاناً قبل أن يتصرف. ووافق دوني على أن يسعى متخفياً، إلى العثور على البرهان.

وسأله دوني: «كيف حال خالتي؟».

- على حالها.

كان هذا هماً آخر يتملكه، فصحة أمه تتدهور منذ أسابيع. كانت الممرضة التي ترعاها طول الوقت متفائلة على الدوام، لكن الطبيب كان أكثر تحفظاً.

كان نك يكره العجز الذي يشعر به عندما يكون بجانب أمه. إنه يريدها أن تشفى، وتستعيد نشاطها المعتاد لتعود مجدداً تلك المرأة النابضة بالحياة.

- بلّغها تحياتي عندما تراها. عليّ أن أذهب الآن.

أدخلت هيلين إليه الملفّ الذي يريده ثم أخذت الصحيفة وهي تتأمل

الصورة الجديدة أثناء عودتها إلى مكتبها.

ركز نك انتباهه على الملف، باذلاً جهده في نبذ موللي ماغاير من ذهنه. إذا فكرت في أن تستفيد بشيء مما حدث الليلة الماضية، فسوف تندم. كانت بينهما اتفاقية لليلة واحدة، وهذا كل شيء.

لكنه أخذ يتساءل عما كانت تفعله تلك اللحظة... تخطط وتتآمر؟

* * *

كانت موللي تعمل أثناء تناولها الغداء. لقد وصلت إلى المكتب باكراً لكي تتمكن من إنهاء عدة مشاريع كانت قد وضعتها جانباً عندما أخذت تعمل لحساب شركة «هاماكوموتو». وقد صممت على قضاء عطلة نهاية الأسبوع في منتجع للمياه المعدنية... ابتداء من الغد. فساعات العمل الطويلة التي تطلبتها إبرام تلك الاتفاقية مع الشركة اليابانية استهلكت الكثير من ساعات فراغها. ولهذا أخذت عطلتها بعد ظهر الجمعة مباشرة حتى صباح الإثنين. ولم تكد تستطيع الصبر!

تناولت ملفاً آخر، مستمتعة بحس الإنجاز الذي يرافق إنهاء العمل. نشرت التخطيطات على منضدة الرسم، ثم تناولت القلم الفحمي. كانت تريد أن تنهي آخر رسم لديها قبل أن تأخذ فترة استراحة.

ساد الصمت فجأة في القاعة الواسعة المخصصة للفنانين، فرفعت موللي بصرها ليقع مباشرة في عيني نك بايلي.

حدّقت إليه بدهشة. ألم يودعا بعضهما إلى الأبد الليلة الماضية؟

وعلى الفور، تذكرته وهو يغازلها ممثلاً دور الخطيب العاشق الليلة الماضية. لكن لم يبد عليه اليوم أي استعداد للغزل.

البذلة القاتمة والقميص الأبيض اللذان يرتديهما أبرزا شخصيته الفياضة بالرجولة. وبدا لها أن مجرد وقوفه هناك ملأ القاعة. كان هذا

غريباً، فهي لم تلحظ قط من قبل أن هذا المكان الفسيح المكشوف ضيق بهذا الشكل.

نظر إلى الفنانين الآخرين الذين أسرعوا جميعاً للاهتمام بعملهم، ما عدا بريتاني التي أخذت تحدّق فيهما من بعيد. وإذا كان نك قد لاحظ هذا فقد تجاهله تماماً، إذ كان ينظر إلى موللي مباشرة: «علينا أن نتحدث».

بدا الفولاذ وراء لهجته اللينة، تماماً كما كان مع كارمن. نظرت إليه بحذر: «نتحدث عمّاذا؟».

ما الذي يفعله هنا؟ وكيف جاء إلى هنا؟ إنه يعلم طبعاً أنها تعمل في شركة «زنتك». ألم يجد صعوبة في الظهور أمام المكتب الخارجي والسؤال عنها؟

ولكن لماذا تركته موظفة الاستقبال يدخل من دون مرافق؟ هذه ليست العادة المتبعة.

سألها: «هل رأيت صحيفة اليوم؟».

فهزت رأسها: «نادراً ما أقرأ الصحيفة المحلية. لماذا؟».

استدار ووضع يديه في جيبي بنطلونه وهو يتأملها بتقطيبته المألوفة.

توقفت موللي عن الحركة، لكن ذلك استلزم منها جهداً بالغاً. نظرت في أنحاء الغرفة بسرعة، ولاحظت كيف أن الجميع كان يبدو مشغولاً.

لكنها كانت تعلم أنهم يصغون بفضول. بريتاني، على الأقل، كانت أبعد من أن تستطيع سماع شيء، لكن موللي رفضت أن تصب الزيت على نار الأقاويل، فقالت له: «تعال معي».

ونزلت من على مقعدها العالي واتجهت إلى باب الخروج. كان المكان الوحيد الذي يمكنها الانفراد فيه هو قعر السلم. فتحت الباب ثم أطلت منه لتتأكد من أنهما وحدهما قبل أن تستدير لتواجه نك: «ما الذي تريده؟ لم أتوقع أن أراك مرة أخرى».

ـ أصحيح هذا؟ من الصعب تصديق ذلك، خصوصاً بعد تغطية الصحافة لما حدث الليلة الماضية.

ـ الصحافة؟ كنت أعلم أنهم سيكونون هناك. ذلك أن شركتنا الجديدة هي حدث هام. وما لدينا من مخططات يؤثر على عدة شركات في سان فرانسيسكو وحول العالم. هل حاول أحد أن يجري معك مقابلة؟

وكان هذا مستحيلاً لأن نك كان بجانبها طوال الوقت، إلا إذا حصل هذا بعد ذهابها.

ـ هناك صور لنا في صحيفة اليوم، بالإضافة إلى مقالة عن زوبعة حبنا وخطبتنا.

حدّقت موللي إليه ذاهلة: «ماذا؟ أنا لم أعطهم أي قصة. حتى أنني لم أتحدث إلى أي صحفي. كنت أنت معي طوال الوقت وتعرف أنني لم أفعل هذا».

كيف كتبت الصحيفة قصة الخطوبة ولماذا؟ كان من المفترض أن تتركز التغطية الصحفية على اتفاقية الشركة الجديدة.

ـ لا يهم كثيراً من الذي أعطى القصة للمراسل الصحفي. الموضوع هو أن القصة في صحيفة هذا النهار وربما قرأها الجميع.

ـ لكن هذا سينتهي بعد يوم أو يومين. أعني من يهتم لخطبة مديرة فنية في «زنتك»؟

ـ المجتمع بأكمله والقطاع المالي في سان فرانسيسكو سيهتم بذلك إذا كان خطيبها هو نيكولاس بايلي صاحب «فنادق ماغيللان».

تخلخلت ركبتا موللي فهبطت جالسة على درجة السلم وهي تحدّق فيه وتجفف راحتيها اللتين رطبهما العرق، ببنطلونها. ثم هزت رأسها: «مستحيل! لا يمكنك أن تكون رئيس «فنادق ماغيللان». إنها موجودة منذ عشرات السنين وهي إرث عائلي».

ـ أنشأها جدي بعد الحرب، ثم ورثتها أنا بعد وفاة أبي منذ عشر سنوات.

ـ ما الذي كنت تفعله في المقهى عند العصر إذن؟ ظننتك...

وسكتت فجأة.

أراح قدمه على الدرجة بجانبها ثم انحنى يتكىء على ركبته: «ظننتني ماذا؟»

ـ دعك من هذا. عندما سألك الناس في الحفلة عن عملك لم تقل إنك صاحب الفندق! قلت فقط إنك تعمل في حقل الصناعة.

ـ أعني بذلك الفنادق. لكن «زنتك» لم تكن شركتي ولهذا لم أشأ أن أسرق الأضواء منك أثناء حفلتك.

ـ والآن ماذا تريد؟ أن أرسل تصحيحاً للصحيفة؟

لم تستطع موللي أن تصدّق هذا... أن رئيس «فنادق ماغيللان» وافق على أن يقوم بدور خطيب مؤقت لها! لم تجد هذا معقولاً.

سألها: «هل أعطيتهم أنت القصة؟».

فهزت رأسها.

ـ من غير المحتمل إذن أن يقبلوا تصحيحاً منك. وبعد نشر الصور، أشك في أن أحداً سيصدق ذلك على كل حال. ومن ناحية أخرى، تجاوز الأمر هذا الحد. فقد رأت أمي المقالة والصور.

ـ وهي لم تقبل بذلك؟

موللي تتفهم ذلك، فكل أم ترغب في رؤية خطيبة ابنها قبل الخطبة.

ـ أخبرها بالحقيقة، فأنا واثقة من أن محيطها غير محيط بريتاني وجاستين. وعلى أي حال أنا أفكر في إعلان انفصالنا قريباً.

ـ وكيف؟

فهزت كتفيها: «سأذهب إلى عدة مناسبات وحدي، وإذا سألني أحد

أقول بأن خطبتنا لم تنجح».

فتردد: «ليس الآن».

ـ ماذا تعني بقولك ليس الآن؟

ـ عليك أن تتمهلي قليلاً.

ـ ماذا؟ ولماذا؟

ـ أمي مريضة منذ فترة، وهذه المقالة غيرت وضعها تماماً. طبيبها ومرضتها يظنان أن هذا الحدث هو ما جعلها تعود إلى الوقوف على قدميها. لقد بدا عليها من التحسن بعد قراءتها المقالة أكثر مما اكتسبته منذ أسابيع.

ـ وما هو مرضها؟

ـ أصيبت في الشتاء الماضي بالتهاب رئوي لم تشف منه تماماً. هزلت وفقدت اهتمامها بكل شيء.

فأجابت موللي: «لا بأس، لن نصحح الخبر إذن».

ـ هناك المزيد. إنها تريد أن تتعرف إلى خطيبتي.

ـ أخبرها بأننا انفصلنا.

ـ لقد أخبرتك لتوّي بأنها تغيرت تماماً لأنها ظنتني سأتزوج، وهي تريد أن تقابل عروسي المقبلة. وإذا كنت تظنين أنني سأتقضي عليها فأنت مجنونة.

فقالت باستنكار: «لكننا غير مخطوبين».

ـ أنا وأنت نعلم هذا، وكذلك دوني. لكننا لسنا كذلك بالنسبة إلى بقية العالم. ألم تقدميني في حفلتك على أنني خطيبك؟ يمكنني أن أستدعي عشرات الشهود على ذلك الآن.

أخذ الشك يتملكها بالنسبة إلى قصده من هذه المناقشة: «لكن ذلك كان لتلك الليلة فقط».

ـ أنا ساعدتك في الخروج من مأزقك، وعليك الآن أن تساعديني في الخروج من مأزقي.

ـ لكني ساعدتك مع كارمن.

ـ أنا ساعدتك مع بريتاني وجاستين، وهما اثنان مقابل واحد. مازلت مدينة لي بواحد.

قفزت واقفة بغضب: «أنا لست مدينة لك بأي شيء».

وقف بدوره وأخذا يحدقان ببعضهما البعض، فلاحظت نظراته القاسية وما فيها من عزم وتهجم.

ـ إذن أنت لا تمانعين إذا أنا مررت على مكتب جاستين أثناء خروجي وأخبرته أن كل شيء كان مجرد ادعاء؟ وربما أخبر بريتاني أننا كنا نخدعهم جميعاً.

ـ لن تفعل هذا.

فقال بنعومة: «جربيني».

ـ لماذا تريد أن يعتقد معارفك أنك خطيبي؟ أنا فنانة أعيش في أحلام اليقظة وألبس الجينز و«الصندل». إذا كنت أنت حقاً كما تقول، فأنت غني. وربما لديك عشرات من النساء يرتمين عند قدميك. من سيصدق أننا خطيبان؟

ـ هذه ملاحظة مهمة، أليس كذلك؟ لكن الحقيقة هي أن الصحيفة هي التي قالت ذلك، مكمّلة بصور تجعل من يراها يصدق الخبر.

ـ أنت مخبول. ما أدراني بأن أياً مما تقوله صحيح؟

فقال وعيناه تلمعان بشكل خطر: «أتظنينني أخترع كل هذا؟ إشتري الصحيفة».

أخذت تفكر كيف أن خدعة صغيرة لا ضرر منها يمكن أن تستحيل قضية معقدة كهذه.

سألته بارتياب: «ما الذي تريدني أن أفعله؟».

ـ تعالي الليلة لتتعرفي إلى أمي وستتناولين العشاء في بيتها. لا أضمن لك أنها ستجلس معنا على المائدة، لكنها ستتعرف إليك على الأقل. تظاهري بأننا خطيبان، وعندما تتحسن صحتها سنخبرها بأننا فسخنا الخطبة. ولكن ليس قبل أن تشفى! لأن هذا هو أول دليل مشجع رأيناه وأنا لن أعرّضه للخطر.

ـ وكيف أتأكد من أنك حقاً صاحب فنادق «ماغيللان؟».

أتراه يظنها تخرج مع رجل غريب عنها تماماً؟

ـ عودي معي إلى الفندق إذا شئت وسأريك مكتبي وأجعلك تقابلين سكرتيرتي التي ستشهد معي. لقد عملت مع أبي من قبلي، وهي تعرفني منذ كنت صبياً صغيراً. وسأدعو «دوني» ليشاركنا هذه الليلة إذا كان هذا يشعرك بمزيد من الارتياح.

ـ دوني؟

ـ إبن خالتي... الساقي في البار.

ـ ابن خالتك يخدم في بار؟ وتتوقع مني أن أصدق أنك صاحب سلسلة «فنادق ماغيللان؟».

ـ إنه مخبر خاص يعمل في قضية، فلا تخبري أحداً بذلك. وما دام وضعني في هذه الورطة، أتصور أن الأفضل أن يكون موجوداً ليساعدني على الخروج منها.

ـ كان يمكنك أن ترفض.

ـ ومن يساعدني على كارمن؟

فهزت رأسها: «لا تحاول أن تقنعني بذلك. أنت لست بحاجة إلى مساعدة مني ضد كارمن أو أي امرأة أخرى».

ـ لكنني بحاجة إلى أن تساعديني مع أمي. لقد جربنا كل علاج اقترحه

الطبيب، وهذه هي المرة الأولى التي تمنحني أملاً.

حدّقت إليه وهي تسمع الإخلاص في صوته. لقد ساعدها الليلة الماضية فهل سيكون صعباً أن تمثل دوراً لأجله ليلة أخرى؟ وتنهدت.

- لا بأس. أعطني العنوان وسأذهب إليكم عند الساعة السابعة. هذه الليلة فقط، ونصبح متساويين.

- لا. أنا أريدك أن تجاريني في هذا الأمر حتى تتحسن صحة أمي، وبعد ذلك نتظاهر بالخصام ثم نفسخ الخطبة ويذهب كل في طريقه.

- وكم تظن هذا يستمر؟

- حسب ما يقتضيه الأمر. أسابيع قليلة أو شهراً أو شهرين على الأكثر.

- شهراً أو شهرين؟ لا يمكنني أن أقيّد حياتي شهراً أو شهرين. أنت تطلب مني أن أعطل حياتي كلياً لأجلك بينما أنا لا أعرفك.

- كنت أعلم أننا سنصل إلى هذا. كم تريدين؟

حدقت إليه مذهولة.

- هل تستلقي في سريرك ليلاً لتفكر كيف يمكنك أن تهين الآخرين؟

ثم سارت نحو الباب وقلبها يخفق لشدة الانفعال من هذا الظلم.

- لديّ أشياء أفضل أقوم بها في السرير.

وعلى الفور، قفزت إلى مخيلتها صورته مع كارمن، ولم تشأ أن تفكر في ذلك.

- موهبتك إذن تظهر بشكل عفوي. أنا لا أريد شيئاً منك! وقد تراجعت عن وعدي بالخروج معك الليلة.

وتابعت وهي تفتح الباب: «ابحث عن طريقة تخبر بها أمك بالحقيقة».

- الحقيقة؟ أي حقيقة؟

ألقى جاستين هذا السؤال من حيث كان واقفاً قرب الباب الذي يؤدي إلى قاعة العمل.

أرادت أن تقفز عائدة إلى السلم وتصفق الباب في وجهه. ثم ما الذي يفعله جاستين هنا؟

وتدخّل نك يساعدها: «أمي تريدنا أن نقيم عرساً مترفاً بينما موللي تريد حفلة هادئة تدعو إليها أصدقاءها المقرّبين. لكنها تكره أن تؤذي مشاعر أمي».

وسألت هي جاستين: «هل تريد شيئاً؟».

أما هي، فلم يسألها أحد ماذا تريد طبعاً.. وهكذا وقفت تنظر إلى خطيب حالي وحبيب سابق يحدّقان ببعضهما البعض... كما كان الأمر في الماضي عندما كان الرجال يتقاتلون لأجل امرأة.

وقال جاستين: «أنا بحاجة إلى «نانان» لكي يخطط لي نموذجاً، لكنه يقول إنه مشغول بعمل أوكلته به، لذا يريد موافقتك. ساعديني في ذلك يا موللي».

حملقت موللي فيه. كانت تعلم أنها تفرغ إحباطها عليه، لكنه يستحق ذلك، فقد أدركت أنه كان يحصل على ما يريد منها بظرفه وعذوبته أثناء علاقتهما. هل كان ذلك هو سبب إظهاره الاهتمام بها والحرص على إرضائها؟

- إذهب واسأل بريتاني إن كان لديها أحد ليساعدك.

- ليس لديها أحد.

- انتظر دورك إذن.

ثم عادت بانتباهها إلى نك، وكان هذا متكئاً على إطار الباب ببساطة وكأن لا شيء في العالم يشغل باله، ماعدا التوتر حول عينيه الذي كان يناقض ادعاءه. وقالت بحدة: «إذا لم يكن لديك ما تفعله، فأنا لديّ».

ـ سأمر لاصطحابك بعد العمل، نحن لم ننتهِ من حديثنا.

أدركت أن عيون الجميع منصبة عليهما، فأومأت بالإيجاب لكنها لم تكن راضية بالوضع: «عملي ينتهي عند الخامسة، ولكن سيكون عليّ أن أغير ملابسي. يمكنني أن أقابلك هناك».

ثم انتبهت إلى أنها لا تعرف أين يقيم، والمفروض أن تعلم الخطيبة ذلك. لكنها لم تستطع أن تسأله بوجود جاستين.

وكأنه استطاع أن يقرأ أفكارها فهز رأسه: «أنت تعلمين أن ليس لدي مانع من أن أوصلك إلى بيتك ثم أنتظرك ريثما تغيرين ملابسك. أراك عند الخامسة يا حبيبتي».

ثم مال إلى الأمام يعانقها.

وكادت موللي تنفجر. لم تكن تريد ذلك، لم تكن تريد شيئاً من هذا الرجل، لكن وجود جاستين وبريتاني وبقية الزملاء، جعلها تتمسك بالهدوء. كان خفقان قلبها يعلو وهو يتركها ويغمز بعينه ما كاد يصيبها بالجنون! نظرت إليه وهو يخرج، ثم نظرت إلى جاستين الذي مازال واقفاً بقربها يكبت غضبه: «متى تعرفت إليه؟».

ـ بعد أن انقطعت علاقتنا. أنا مشغولة الآن.

ـ أنا بحاجة إلى ناثان.

قال جاستين هذا وهو يتبعها إلى مكتبها.

ـ أي جزء من كلمة (لا) أنت لم تفهمه؟

قالت هذا وقد ازداد غضبها. لو كان لديه ذرة عقل لاستعملها وتركها وشأنها.

ـ هيه ما الذي كدّرك؟ إنها خدمة بسيطة. كنت دوماً تساعديني في الماضي. نحن مازلنا صديقين يا موللي، أليس كذلك؟

وازداد اقتراباً منها وكأنه يريد أن يؤثر عليها بسحره لكي تستجيب له.

وتصورت موللي الأقاويل التي سرعان ما ستنتشر عصر ذلك اليوم، فبقيت عيناها على أوراقها: «لا، نحن لسنا صديقين، وأنا لن أدع ناثان يترك عمله الحالي. إذهب واسحر بريتاني وهي تعطيك ما تريد بكل تأكيد، فأنتما الاثنين متلائمان».

فقال بلطف: «أتغارين؟».

فأجابت ساخرة: «لا. انفصالنا كان أفضل ما حدث لي، فقد تعرفت إلى نك فانظر أين أنا الآن».

كانت في مأزق لكن جاستين لم يكن يعرف هذا. وبعد أن أدرك أخيراً أنها تعني ما تقول ذهب متذمراً بينما حاولت أن تعود حيث تركت عملها، لكن صورة نك كانت تتراقص في ذهنها. إذا استمرت العلاقة بينهما سيؤدي بها هذا إلى الجنون. ما كان له أن يعانقها أمام جميع الموظفين!. إنه خبير حتماً! ولكن إذا كان عليهما أن يتناقشا في مسألة خطبة مزعومة ستكون هناك شروط ثابتة عليه اتباعها. وستوضح له ذلك عندما يأتي ليأخذها.

ولكن هل صحيح أن والدته مريضة؟ وهل خبر العرس جعلها تتحسن حقاً؟ أم أن نك بايلي يقوم بلعبة ما؟

لقد بدا لها منزعجاً حقاً مما أصدرته الصحيفة. وهنا تذكرت فاتصلت بموظفة الاستقبال وطلبت إرسال نسخة من الصحيفة اليومية. وعندما وصلت هذه، قرأت موللي المقالة في صفحة الاجتماعيات كلمة كلمة، وتأملت كل صورة. وكانت الأوضاع التي اختارها المصور مقنعة، حتى كادت تصدق أنها حقيقية لولا أنها تعرف الحقيقة.

كما أن المقالة أخبرتها المزيد عن (كاره الزواج)! وتفحصت بسرعة أسماء نساء اقترنت باسمه، مفكرة في أن تلك النسوة لا بد كرهن أن توضع أسماءهن بصفتهن حبيبات سابقات، ما عدا كارمن التي ربما هي من النوع

www.elromancia.com

الذي يحب الشهرة مهما كان نوعها.

لكن موللي ليست كذلك. ومع ذلك ما كان لها أن تلوم سوى نفسها لهذه المقالة وللمأزق الذي وجدت نفسها فيه. يا ليتها فقط لم تشترك هي وشيلي في اختراع هذه الفكرة السخيفة! وياليتها دخلت تلك الحفلة وحدها وواجهت جاستين وبريتاني وشفقة زملائها!

فتحت دليل الهاتف، بحثاً عن رقم «فندق ماغيللان» في «ساحة يونيون» ثم طلبته. وبعد لحظة قصيرة أجابها نيكولاس بايلي: «بايلي».

بإمكانها أن تميّز ذلك الصوت في أي مكان.

ـ أردت فقط أن أتأكد من أنك أنت حقاً من تقول إنك هو.

ثم أقفلت الخط.

يبدو أنه حقاً صاحب تلك السلسلة الضخمة من الفنادق الناجحة. يمكنها أن تواجه ذلك، أما ما لم تكن واثقة منه فهو الاستمرار في تلك التمثيلية نزولاً عند رغبته.

ماذا لو بدأت أمه حقاً ترتب أمر الزفاف؟ سيكون من الظلم أن تنتزع هذا الأمل منها بعد أن تتحسن صحتها؟ أليس من الأفضل أن تخبرها بالحقيقة الآن وتمنحها أملاً حقيقياً في أن يجد فتاة يقع في حبها ويتزوجها؟

تساءلت إن كانت الأم تعرف كارمن. ولم تستطع موللي أن تتصورها من نوع النساء اللاتي يرغب نك أو أي رجل آخر أن يأخذها إلى بيته ويقدمها إلى أمه.

في الخامسة تماماً، خرجت موللي من مبنى المكاتب الفخم. وبالرغم من الازدحام البالغ في الشارع ومواقف السيارات، كانت سيارة نك راكنة أمام باب المبنى بالضبط.

عندما رأته، لم تستطع موللي أن تتجنب الشعور بالبهجة الذي غمرها وتمنت للحظة لو أنهما حقاً خارجان معاً للمرة الأولى ليكتشفا ما يحبانه

وما لا يحبانه.

قال وهو يفتح لها باب السيارة: «هل أنت راضية الآن؟».

ـ عن ماذا؟

ـ عمّن أنا حقاً.

تجاهلت قوله ودخلت السيارة. كانت المقاعد الجلدية وثيرة ناعمة. وخاطبت نفسها باستغراب: مرحباً بك يا موللي في عالم الثراء!

وجاءها صوت دوني من المقعد الخلفي: «مرحباً، يا موللي ماغاير».

التفتت إليه جزئياً، فكانت ابتسامة التحري الخاص عريضة مرحة كالعادة: «مرحباً أظن أنه كان عليك أن تملأ كأسي فقط في الأمس وتتجاهل الطلب الثاني».

ـ آه، يا لها من شبكة أكاذيب نحوكها... لكن الأمر بالنسبة إليك وإلى نك غير معقد. هو ساعدك على الخروج من مأزقك، وأنت ساعدته على الخروج من مأزقه.

ودخل نك خلف المقود ثم أدار المحرك.

ـ تحدثت مع السيدة براوم قبل أن أترك المكتب. إنها ممرضة أمي. أمي متلهفة إلى التعرف إليك. ستتوقف أمام بيتك كي تغيري ملابسك، ثم نتابع طريقنا.

انطلق نك بالسيارة وسرعان ما تحوّل بها إلى شارع «إمبركاديرو».

ـ ألست بحاجة إلى معرفة الاتجاه؟

سألته موللي وهي تراه متجهاً إلى بيتها، ولكن من أين عرف عنوانها؟

ـ أعرف الطريق.

ـ من أين عرفت عنوان سكني؟

ـ أخبرني دوني بذلك.

التفتت إلى المقعد الخلفي: «كيف عرفت؟».

فضحك دون خجل: «أنا أعرف كل شيء. والأفضل لكما أن تتعرفا الآن على بعضكما قبل أن تقابلا الخالة إيلين. لقد أعطيت نك المعلومات الرئيسية عنك، ثم كتبت لك صفحة سريعة عنه».

ثم ناولها ورقة تحتوي على المعلومات الأساسية عنه: العمر، تاريخ الميلاد، مكان دراسته.

فتمتمت موللي: «هل لدى نك معلومات وافرة عني هو أيضاً؟».

ـ أنت ابنة وحيدة. أبواك يعيشان في «فريمونت» حيث نشأت أنت، وحالياً هما في رحلة بحرية أمّنتها الشركة التي يعمل فيها والدك. أمك تعمل في مدرسة للصم. أنت كنت متفوقة في المدرسة الثانوية، في كلية الفنون. وتسكنين اليوم في شقة قرب الحي الصيني. ويبدو أن لديك أصدقاء كثيرين ولكن...

والقى عليها نظرة خاطفة: «قليل من الأصدقاء الرجال المحبين».

ـ كان عليك أن تسألني فأعطيك ما تريد من معلومات.

استاءت لأنه كلّف «دوني» بالتحري عنها. كان عليها هي أن تكلف شخصاً بالتحري عنه ليرى إن كان هذا يعجبه!

وقال نك: «مازلت أريد أن أعرف نوع الألوان التي تفضلينها، والطعام والأفلام والكتب وما إلى هنالك».

ـ وأنا أيضاً أريد أن أعرف ذلك عنك.

أتراها تجاريه في هذا؟ ماذا حدث لإصرارها على الشروط الأساسية؟ لقد سلّمت بأنه أنقذها أمس من موقف صعب واليوم من جاستين. لكنها تعرّض نفسها للقلق والاضطراب رغم أنها غير واثقة من أنها تشعر نحوه حتى بالمودة.

كان نك يتخلل الزحام بمرونة وهو يجيب: «لوني المفضّل هو الأزرق، طعامي المفضل هو الدجاج المقلي، رغم أنني أعرف أن الطعام

المقلي مضرّ بالصحة. أحب أفلام المغامرات. وإذا استطعت أن استأجرها نادراً ما أذهب إلى السينما. ولدي تذاكر دوماً للقاعات الموسيقية حيث أستمع إلى السمفونيات. لا أقرأ كثيراً، لكنني عندما أقرأ أفضّل القصص البوليسية الغامضة. ماذا عنك؟».

ـ أحب اللون الأزرق أنا أيضاً، الشوكولا هو أكثر ما أفضل من الأطعمة وأظن ينبغي تصنيفه أحد الأغذية الأساسية. أفضّل الأفلام والكتب الهزلية، وأحياناً الروايات العاطفية الحقيقية. لعبة كرة القدم لا تهمني البتة، وأحب كل أنواع الموسيقى.

فقال دوني من الخلف: «الآن أعلنكما خطيباً وخطيبة».

وردّ عليه صوتا نك وموللي في وقت واحد: «اخرس».

قالت: «هل وجدت سبباً نتذرع به أمام أمك، ويبرّر عدم إطلاعها على خطوبتنا. أعني، أليس هذا غريباً؟ أم أنكما غير متقاربين؟».

ـ إننا متقاربان كمعظم الناس، كما أظن. والسبب الذي منعني من أن أحدثها عنك هو مرضها، طبعاً.

ـ وكانت علاقتنا عاصفة، على كل حال، أليس كذلك؟

ـ ماذا تعنين؟

ـ ألم تقرأ المقالة في الصحيفة؟ أم أنك اكتفيت بمشاهدة الصور؟ فحسب مصدر موثوق، وأظنه تلك السافلة بريتاني، كانت قصة حبنا عاصفة. ولا بد أن هذا صحيح ما دمت أنا قد قطعت علاقتي حديثاً مع جاستين وكلنا نعلم عن كارمن.

فقال دوني: «أرجو ألا تكون خالتي إيلين تعلم بأمرها».

وقف نك أمام مبنى من ستة طوابق. ثم نظر إليها: «سننتظر هنا».

ـ هذا حسناً. لن أتأخر.

فتحت الباب ودخلت مسرعة، شاكرة لحصولها على عدة دقائق تنفرد

فيها بنفسها. ربما عليها أن تقفل باب شقتها ولا تعود إلى الخروج مطلقاً.

لم تكن واثقة من حكمة تورطها في هذا المشروع، إلا أن الفضول كان يتملكها بشأن نك.

عادت إلى تلك السيارة المترفة بعد ثلث ساعة وأخذت تنظر إلى نك وهو يخوض زحام السير بكفاءة. قبل أن يصعد في طريق خاص ليقف أمام بيت عتيق جميل تلتف حوله نباتات متعرشة يتصاعد الشذا من أزهارها.

ـ هل تسكن هنا؟

سألته موللي وهي تنظر إلى بعض البيوت الفسيحة الجميلة التي كان يعود بناؤها إلى مئة عام.

ـ أمي تسكن هنا، أما أنا فأسكن في شقة في منطقة «نوب هيل». اسمعيني جيداً يا موللي. لا أريد أن تتكدر أمي. إنها واهية ضعيفة الصحة وسأفعل كل ما بإمكاني لكي تتحسن. هل نحن متفقان على هذا؟ لا ينبغي أن يدور أي حديث مثير للجدل. أفهمت؟

ـ آه، يا لروعة هذا الزواج! تهديد، إهانات، تحريات، مزيد من التهديد. ماذا تتمنى المرأة أكثر من ذلك؟

خرج دوني وفتح الباب لموللي: «هل حفظت المعلومات التي أعطيتك إياها؟».

ـ لم أنته بعد من تلاوتها. أظنني سأتسلل إلى الحمام، واحفظ كل شيء عن ظهر قلب ثم أمزق الورقة قطعاً صغيرة وأرميها في المرحاض.

وقال نك لابن خالته: «كان ممكناً أن يكون الأمر أسوأ لو أنها لا تتحلى بروح الفكاهة».

ثم عبس ومدّ يده فوضعت يدها في يده على مضض، شاعرة بأصابعه

تلتف حول أصابعها.

استدارت تواجه المنزل، آملة أن ينجحا في تمثيل مهزلتهما الجنونية لأجل المرأة المريضة. لكن شعوراً سيئاً تملكها بالنسبة لهذا الأمر.

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ خلف الكواليس

قاد نك موللي إلى غرفة استقبال مترفة ثم استأذن للذهاب والاطمئنان على أمه. وتمنت فجأة لو أنها أمضت قليلاً من الوقت مع نك لمراجعة قصتهما.

أخذت تنظر حولها مأخوذة رغم قلقها. كانت الغرفة أنيقة فاخرة، وسألت دوني: «هل نشأ نك هنا؟».

أومأ الشاب وهو ينظر حوله: «نعم وكانت أمه تخشى دائماً أن يتلف أياً من تحفها. وعندما كنا نحن الأقرباء نجيء للزيارة، كنا نمضي وقتاً سيئاً. لا تلمس هذا، لا تجلس على ذاك! لا أدري كيف احتمل العيش هنا. هناك غرفة خاصة في الناحية الخلفية من المنزل كان نك يمضي فيها أكثر أوقاته، فالخالة إيلين كانت أكثر قلقاً على لحفها وأغطية مقاعدها المطرزة من أن تسمح لنا باللعب في هذا القسم من المنزل».

وتساءلت إن كان نك مشاغباً في صغره، يركض في أنحاء المنزل يصرخ ويلعب. هل كان يلعب كرة القدم في المدرسة؟ إن بنيته تشير إلى ذلك. وأخذت تقرأ الورقة التي أحضرها دوني معه، إذ ربما ستجد الأجوبة فيها.

دخل نك بعد دقائق فرفعت بصرها إليه لكنها لم تستطع أن تقرأ شيئاً

في ملامحه. فقالت «لا أظنها فكرة حسنة».

ـ إذا كانت فكرة حسنة الليلة الماضية، فهي فكرة حسنة هذه الليلة.

ـ كانت الليلة الماضية مختلفة.

ـ وكيف؟

لوّحت بالورقة التي أحضرها دوني: «لم أكن أحاول أن أخدع أسرة. هل يفترض بي حقاً أن أتذكر كل هذه الأشياء؟».

ـ ليس فيها الكثير، فأنا في السادسة والثلاثين فقط.

ـ لقد درست في جامعة ستانفورد، وحزت على ماجستير في إدارة الأعمال. أنت تحب الأسفار، وسافرت إلى بلدين لم أسمع باسمهما قط.

ـ وما هو اعتراضك؟

ـ إننا غير متلائمين على الإطلاق، وستلاحظ أمك ذلك على الفور.

ـ إذا أنت أدّيت دورك جيداً، لن تلاحظ، لقد صدّقت القصة الآن ولن تحاول أن تحلل شيئاً.

وأمسك بذراع موللي برفق: «هيا بنا، إنها مستيقظة ومتلهفة لرؤيتك».

ونظر إلى دوني: «سنعود حالاً».

ـ خذا وقتكما. سأذهب إلى المطبخ وأرى ما يعدّانه من طعام.

ـ عندما اتصلت أمي تدعونا إلى العشاء، قالت إن شو ـ وين سنجهز العشاء عند السابعة. قريباً سيكون جاهزاً.

قالت موللي شاكية وهما يصعدان السلم: «أنت لا تصغي إلي. نحن لا نعرف بعضنا».

عندما وصلا إلى أعلى السلم أخذها نك بين ذراعيه: «أنا أصغي، لكنني أتجاهل ما تريدين قوله. إننا سنجعل هذا الأمر ينجح، فالكثير يتوقف على ذلك».

- ولكن...

وفتحت فمها لتعترض لكنه شدد من احتضانها، مسكتاً أي اعتراض قد تتفوه به.

وقفت بين ذراعيه شاعرة فجأة بدفاعاتها تذوب. عرفت رجالاً من قبل ولكن لم يعانقها أحد بهذا الشكل، ولا عجب أن كارمن لم تشأ أن تتخلى عنه.

وبعد لحظات، ابتعد عنها ثم أخذ ينظر إليها والرضى في عينيه. نسألته وهي تحدق في عينيه الداكنتين اللتين تخفيان الكثير: «لمَ فعلتَ هذا؟».

- أريد أن تصدق أمي هذا الخطوبة. سأمثل أنا دور المفتون ما دمت تمثلين أنت دور المحبة المشغوفة.

- آه، مشغوفة...؟ لا بأس. سأبذل جهدي!

كانت موللي، الذاهلة، على استعداد لأن تعد بأي شيء.

عندما دخلا غرفة النوم الفسيحة، أول ما لفت نظر موللي هو سرير مستشفى بدا وكأنه يحتل الغرفة. ونهضت ممرضة من على كرسيها وتقدمت إليهما باسمة.

- سأتركما مع السيدة بايلي. نادوني إذا احتجتم لأي شيء.

ثم خرجت، بينما اقترب نك وموللي من السرير: «أمي، أريدك أن تتعرفي إلى موللي. موللي هذا أمي إيلين بايلي».

بدت المرأة المستلقية على السرير أضعف من أن تستطيع الجلوس. وكانت غائصة بين الوسائد، نحيلة إلى حد محزن، بشرتها أشبه برقّ قديم.

بدا الفضول في عينيها لكن ابتسامتها كانت مرحبة: «أهلاً وسهلاً بك يا موللي ماغاير. أتمنى لو أقول إنني سمعت عنك لكن نك أخفى الأمر

عني تماماً».

- يسرني جداً التعرف إليك يا سيدة بايلي.

- ادعيني ايلين، يا عزيزتي، أما بالنسبة إليك أيها الشاب، فستتحدث فيما بعد عن سبب إخفائك هذا الحدث عن أمك.

تقدّم نك إليها وقبّل خدها: «لم يكن لدي ما أخبرك به حتى مؤخراً. والآن موللي هنا وأمامكما وقت طويل لتتعرفا إلى بعضكما، لذا لا تستائي».

ربتت على السرير بجانبها وقالت لموللي: «تعالي اجلسي بجانبي وحدثيني عن نفسك».

جلست موللي بجانبها: «ليس لدي الكثير لأخبرك عنه. أنا أعيش في هذه المدينة وأعمل في شركة «زنتك» في القسم الفني وقد ولدت ونشأت في كاليفورنيا».

- مثل نك. أنا من بوسطن. لم أكن أظن أنني سوف أغادرها يوماً، لكن توماس بايلي أرغمني على ذلك. أخبريني كيف قابلت نك.

حملقت موللي فيها بينما أخذت أفكارها تدور بسرعة. ما عساها تقول لها؟ فتدخل نك بنعومة: «قابلتها في حفلة عمل أقامتها شركتها في الفندق. لقد افتتنت بها منذ البداية».

- إذن لهذا أعلنت عن خطبتك الليلة الماضية في حفلة «زنتك».

وأومأت برأسها وكأن الأمر توضح أخيراً. لاحت ابتسامة واهنة على شفتي موللي ونظرت إلى نك. فليجب هو على كل الأسئلة، فهذا سيوفّر عليها توتر الأعصاب!

وقالت له أمه مقطبة: «اجلس يا نك. تسبب لي وجعاً في عنقي».

سحب نك كرسياً إلى قرب موللي وجلس فاحتكت ساقه بساقها. وانتبهت إلى قربه هذا منها، ما سبّب لها رجفة في داخلها وفقدت تسلسل

أفكارها. لماذا تسبب لها لمسته هذا الفوضى في أعصابها؟

- هذه أول مرة تجلسين فيها مع الناس منذ شهرين. لا أريدك أن ترهقي نفسك.

- إياك أن تمرضي يا موللي، فسيقلقك حتى الموت في محاولته أن يشفيك حالاً. في الواقع أنا لا أرهق نفسي بل أشعر بأنني أقوى مما كنت منذ زمن طويل.

وربتت على يد موللي: «كل هذا لأنني قابلت المرأة التي سيتزوجها نك. لم أظن قط أنني سأرى هذا اليوم. عندما كنا أنا وأبوه في عمره، كنّا متزوجين منذ خمس سنوات وكان نك يتعلم المشي».

ضاقت عينا نك بنظرة محذرة لموللي، وكأنها بحاجة إلى تحذير. وشعرت بأنها تسير في حقل ألغام. نظرت إليه بجانب عينها: «أراهن على أنه كان صعب المراس، ومازال كذلك».

فضحكت إيلين: «ستكونين مناسبة له. حدثيني عن خططك للعرس! لن تدعاني أقرأ عن هذا في الصحف، أليس كذلك؟».

هزت موللي رأسها الذي فرغ الآن، من كل فكرة. لم تتعود أن تكون خطيبة زائفة، ولم تفكر قط في عرس.

سألتها إيلين: «هل ستتزوجين هنا في سان فرانسيسكو أم في منطقتك؟ من أين أنت في الأساس؟».

شعرت موللي بقدم نك تحتك بقدمها محذرة. إذا كان لا يثق بها في سير التمثيلية فلماذا تزعج نفسها؟ فقالت: «لم نناقش التفاصيل بعد. أنا أساساً، من «فريمونت»، لذا ربما سنرغب في الذهاب إلى منطقتي لنتزوج. وما دامت المسافة تستغرق أكثر من أربعين دقيقة، فسيكون سهلاً على الأصدقاء قطعها بالسيارة».

- وهل حددتما تاريخ الزفاف؟

- ما زال الوقت مبكراً. علينا أن نختبر بعضنا أولاً.

فقالت إيلين: «قاعات الحفلات تُحجز عادة قبل أشهر أو حتى سنوات. هذا إلى أن موللي ستحتاج إلى وقت لشراء الجهاز والتخطيط لشهر العسل. هل ستسكنين في شقة نك؟ أم تريدين مكاناً أوسع؟».

بدت عند الباب امرأة صينية قصيرة القامة حاملة طبق طعام: «العشاء جاهز يا سيدة بايلي».

قالت هذا وهي تدخل محيية نك، فقدمها إلى موللي بأنها شو - وين، مديرة المنزل. وتبعتها الممرضة السيدة براوم إلى غرفة النوم. وسألت: «أتريدين أي مساعدة يا سيدة بايلي؟».

- بعد دقيقة. ما زالت الزيارة قائمة.

- ستتركك الآن لتتعشي، يا أمي. وأنا واثق من أن عشاء شو- وين ينتظرنا في الطابق الأسفل، وسأعود مع موللي لنودعك قبل أن نخرج.

قال نك هذا وهو يقف مادّاً يده إلى يد موللي فوضعتها في يده وابتسمت له ابتسامة ترجو بها أن تعبّر عن الشغف، لكن صدمة تملكتها للأحاسيس البهيجة التي شعرت بها. كانت يده دافئة حازمة. وعندما اشتبكت أصابعه بأصابعها، خفق قلبها. ونصحت نفسها بأن تحاذر.

قادها إلى الطابق السفلي. ومن نظرة الرضى التي لمحتها موللي في عيني الأم قبل أن تغادر الغرفة، أدركت أن المرأة زالت شكوكها واطمأنت إلى تصرف ابنها. لو أنها تعرف الحقيقة!

عندما دخلا غرفة الجلوس، سأل دوني: «كيف سارت الأمور؟».

- بشكل ممتاز.

وترك نك يد موللي. فقالت موللي شاعرة بالحرمان لترك نك يدها: «أمك مريضة جداً أليس كذلك؟».

فقال دوني: «إنها مريضة منذ أشهر».

- تبدو أحسن اليوم.

وقال نك مخاطباً موللي: «اكتسبت وجنتاها بعض اللون كما أن عينيها عادتا تلمعان كالعادة. ما كنت أعلم أن خطبتي يمكن أن تشفي أحداً. ولكن إذا كان الأمر كذلك، فليكن».

كانت موللي متفهمة قلق نك. إذا كان ادّعاؤهما سيساعد أمه على الشفاء فعليها إذن أن تستمر في تلك التمثيلية إلى أن تُشفى هذه المرأة.

يمكنهما أن ينجحا في ذلك إذا تركت له أمر الإجابة عن أسئلة أمه الشخصية. كل ما عليها فعله هو أن تتحدث قليلاً ثم تحدّق في نك بشغف.

مازالت طبيعة خداعهما تزعجها، فقد كانت إيلين بايلي سعيدة حقاً لظنها بأن ابنها سيتزوج. وسيخيب أملها عندما تكتشف الحقيقة.

عندما انتقلوا إلى غرفة الطعام للعشاء، سرّها أن يستغرق الرجلان في الحديث حيث أصبح بإمكانها أن تفكر. نظرت في أنحاء الغرفة إلى الأثاث التراثي والستائر المقصبة وهذا أثبت لها مرة أخرى الفارق بين خلفياتهما. ودهشت لأن إيلين لم تظنها طامعة في أموال ابنها.

قال نك: «أراك هادئة يا موللي».

فنظرت إليه: «ليس هناك ما أقوله».

فقال دوني مداعباً: «أي امرأة لا تتكلم إلا عندما تجد ما تقوله؟ أخبريني يا موللي، كيف نجح الخداع بين أصدقائك في «زنتك؟».

- يبدو أنهم صدقوا ذلك.

- هذا غريب. ربما لديك موهبة في التمثيل.

- هل ظننت أنني لن أنجح؟

هز دوني كتفيه وعيناه تلمعان هزلاً: «وكارمن، ما الذي ستفعله بها؟».

- لا شيء. لقد فهمت الأمر.

غمز دوني: «ربما. الأيام ستبرهن لنا ذلك».

عندما انتهى العشاء توقف الحديث ونظر نك إلى موللي: «يمكننا أن نودّع أمي ثم أوصلك إلى بيتك».

- يمكنني أن أستدعي سيارة أجرة.

فقال نك بفروغ صبر: «بل أوصلك أنا. أي رجل يرسل خطيبته إلى بيتها وحدها بينما بإمكانه أن يوصلها بنفسه؟».

أومأت موللي شاعرة بغبائها، فالخطيبان الحقيقيان يترافقان حتى باب المنزل حيث يودّعان بعضهما.

عندما دخلا غرفة إيلين، كانت هذه قد غلبها النعاس فأشارت إليهما الممرضة أن يقتربا، قائلة: «لقد طلبت مني أن أوقظها. لقد أكلت معظم طعامها. هذه أول مرة تكمل فيها طعامها تقريباً منذ بدأت أعمل هنا».

ربتت على كتف إيلين برفق ففتحت هذه عينيها على اتساعهما. وعندما رأت نك وموللي، ابتسمت ابتسامة عريضة، وسألتهما وهي تحاول الجلوس: «هل استمتعتما بالعشاء؟».

فقالت موللي وهي ترى وجه المرأة المتعب: «كان لذيذاً. أرجو أن تتحسني قريباً».

- سأتحسن. كنت أفكر في أن علينا أن نقيم حفلة خطبة، لكي أقدمك إلى كل الأقارب والأصدقاء. ما رأيك يا نك؟

وضعت الممرضة عدة وسائد خلفها بينما قال نك: «فكرة رائعة يا أمي. لكننا سننتظر حتى تشفي تماماً».

- حسناً جداً. فكرا في ذلك، بينما أشفى أنا بأسرع مما تتوقعان.

انحنت موللي تقبل وجنتها: «تصبحين على خير».

- تصبحين على خير يا عزيزتي. في المرة القادمة سنمضي، أنا

وأنت، مزيداً من الوقت معاً.

وفي السيارة، التفتت موللي إليه: «نحن بحاجة إلى خطة محدّدة نسير عليها».

- ماذا تعنين؟

كان دوني قد اختار أن يستدعي تاكسي لنفسه، وبهذا أصبحا وحدهما في السيارة.

- أنت تعلم ما نخبر به الناس وما نفعله بصفتنا خطيبين. لا أظن أن عليّ توطيد علاقتك بأمك لأنها ستتكدر جداً عندما نفترق.

- بإمكاننا أن نضع خطة نسير عليها، مساء غد. عليك أن تمرّي عليها من وقت لآخر وإلا شكت في أمرنا وهذا يسبب لها قلقاً لا أريده لها.

- مساء غد؟ لن أكون هنا، فأنا راحلة لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

فقال بحدة: «مع رجل؟».

- لا، ليس مع رجل ثم هذا ليس من شأنك.

أخذت تفكر في غرابة ردة فعله. لو كان لها صديق لما طلبت من رجل غريب أن يرافقها لحضور حفلة «زنتك».

- إلى أين ستذهبين؟

- إلى منتجع في «نابا».

فقطب جبينه: «منتجع؟ حيث تخوضين في الأوحال وتشربين عصير الكرفس؟».

وكان صوته أقرب إلى الرعب.

- بذلت جهداً كبيراً في العمل لأجل «هاماكوموتو» وهذه هي مكافأتي منهم.

- إلغي ذلك. «دوني» على صواب في قوله إنه لم يعد بإمكاني الخروج وحدي بعد أن ذاع نبأ خطبتي وإلا وصلت الشائعات إلى أمي. سأحضر

مناسبة خيرية يوم السبت وسيكون عليك مرافقتي.

- ليس عليّ أن أفعل أي شيء، فقد خططت لهذه العطلة الأسبوعية منذ دهور.

- عندما ينتهي هذا الأمر سأدفع لك نفقات أسبوع كامل تقضينه هناك.

تقبضت يدا موللي غيظاً: «هل هذا فقط ما تفكر فيه؟ ألم يخطر ببالك أن تلتمس ذلك بصفته خدمة؟».

هز نك رأسه ببطء: «تصورت أنه بما أنني اطلب منك الغاء عطلتك الاسبوعية، فأقل ما يمكنني فعله هو أن أعوّضها عليك».

- حاول أن تلتمس فترى ما سيحدث.

فقال صارفاً بأسنانه: «هل لك أن تأتي معي إلى الحفلة الخيرية ليلة السبت؟».

- طبعاً! لقد التمست هذا بمثل هذه الرقة، فكيف أرفض؟

* * *

وعندما حلّ ظهر يوم الجمعة، كانت موللي قد غيّرت رأيها مرة بعد أخرى. لم تشأ أن تتخلى عن تلك العطلة الأسبوعية الفريدة. وتساءلت عما يجعلها تذهب إلى حفلة خيرية ستشعر فيها حتماً بأنها في غير موضعها. ثم إن والدة نك لن تعرف مطلقاً بأنها لم تذهب إلى الحفلة، كما أنها لا تتصور أن نك هو موضع اهتمام الصحافة بحيث ينشرون له المزيد من الصور في الصحيفة بهذه السرعة بعد النشرة الأخيرة.

تناولت غداءً سريعاً ثم عادت إلى العمل. سمعت حركة من خلال الباب المفتوح لكنها ما لبثت أن رفعت بصرها وإذا بها تهتف بصوت منخفض: «عجباً، عجباً».

فقد تسمّرت لمرأى كارمن هيرناندز تشق طريقها خلال طاولات

www.elromancia.com

الرسم والمكاتب وكأنها تتنزه في منتجع عصري. واستقرت عليها عيون كل الرجال في القاعة، وكذلك عيون النساء، ولكن لأسباب مختلفة. ومرة أخرى أخذت موللي تتساءل عما أصاب موظفة الإستقبال لتدع الناس يتسكعون في المكاتب كما يشاؤون؟

عندما وصلت كارمن أمام موللي، نظرت حولها مقطبة: «هل تعملين هنا؟».

ولم يكن لمعان عينيها يبشر بالخير.

ـ نعم.

ما الذي كانت كارمن تتوقعه؟ وكيف عثرت عليها؟ ربما قرأت ما كتب عنها في الصحيفة ورأت صورها في احتفال «زنتك».

نظرت المرأة حولها بشكل مثير وكأنها تختبر ردة فعل كل رجل هناك. وبعد أن رضيت بلفت انتباههم، عادت تنظر إلى موللي: «أين خاتمك؟».

نظرت موللي إلى يدها. كانت قد خلعت خاتم جدتها عندما انتهت الحفلة ذلك المساء. وسرعان ما وجدت العذر: «عليّ أن أغسل يدي من الأصباغ عشر مرات في اليوم وأنا أخاف عليه من أن يضيع».

فقالت كارمن بلهجة مسرحية: «لو أن نك ألبسني الخاتم لما خلعته من إصبعي أبداً».

ـ لكنه لم يفعل، أليس كذلك؟

قالت موللي هذا ببشاشة، منتظرة أن تفصح المرأة عن سبب زيارتها هذه، إذا كان هناك من سبب.

ضاقت عينا المرأة: «ليس بعد. لكنكما، أيضاً، غير متزوجين. أين تعرفت إليه؟ هل يعلم أنك تعملين هنا؟ أم أنه يظنك غنية مثله؟ رجل في مركزه عليه أن يخاف من صائدات الثروات».

فأجابت موللي قائلة: «نك يعلم كل ما يريده عني».

نهضت موللي وهي تنظر حولها بعد أن لاحظت اهتمام جميع زملائها وسرّها أنها لم تر بريتاني ولكنها أدركت من العيون المتلهفة حولها أن مزيداً من الأقاويل سيطالها.

ـ لا أدري ما الذي أعجبه فيك. كنّا حبيبين مدة طويلة.

قالت كارمن هذا وهي تتأمل موللي بوقاحة.

ـ أنا سعيدة لأجلكما.

فسألتها كارمن بدهشة: «ألا تشعرين بالغيرة؟».

ـ وهل يُفترض أن أغار؟ كل ما بينكما انتهى قبل أن أعرفه.

ـ مثل تلك العواطف المحمومة لا تنتهي بهذه السهولة. إنه متكدر لسبب ما ويحاول أن يثبت لي أن بإمكانه أن يطلب الزواج من أية فتاة نافهة. أنا يمكنني أن أثير فيه النيران والمشاعر المشبوبة، ماذا بإمكانك أنت أن تمنحيه؟ أنت نحيلة هزيلة شاحبة اللون. إنه بحاجة إلى امرأة حقيقية! تأكدي أنه سيفسخ خطبته بك قريباً ليعود إليّ زحفاً.

استبد الضيق بموللي لهذا القول وفكرت في أنها لو كانت تهتم حقاً بنكِ، لضايقها أن تعلم عن تلك العلاقة المحمومة.

ـ لا أظن هذا سيحدث.

قالت موللي هذا وهي تتساءل كيف يمكنها أن تتخلص من زائرتها غير المرغوب فيها. هل هذا جزء من كونها مخطوبة إلى مالك فنادق؟

ـ سترين!

ونظرت مرة أخرى في أنحاء القسم بازدراء، ثم استدارت لتبتعد قائلة: «ليس لديك شيء، بينما بإمكاني أن أعطيه كل شيء».

كان الصمت يصم الآذان والعيون تتبعها خارجة.

ضحكت امرأتان تعملان بجانب موللي، وقالتا: «إذا كان ذلك الرجل

الرائع الذي كان هنا أمس هو محور القتال بينكما فقد أحسنت يا موللي. من هي هذا المرأة؟».

ـ لا أحد ذات أهمية.

حيّرتها ردة فعلها الهادئة إزاء محاولات كارمن الوقحة لإثارة فضيحة.

تسللت خارجة بعد دقائق واتصلت به. حوّلتها السكرتيرة إليه مباشرة إذ يبدو أنها كانت تعتقد أن هذه الخطبة حقيقية.

ـ بايلي.

فقالت بصوت غنائي عذب: «مرحباً يا حبيبي، كنت متشوقة لسماع صوتك. هل يسير يومك جيداً كيومي؟».

ـ موللي؟

ـ هل لديك خطيبة أخرى كامنة تترصد؟ واحدة يمكن أن تضايقها كارمن بزياراتها؟

ـ كارمن؟ ماذا يحدث؟

ـ أرادت أن تخبرني شخصياً عن العلاقة المحمومة التي كانت بينكما، وكيف أنكما ستستعيدانها حالما تلقي بي جانباً. دعنا نوضح شيئاً بالنسبة لهذا الوضع... عندما ننهي هذه المهزلة، أنا من سيلقي بك جانباً. فقد تعبت من كوني دوماً الضحية المنبوذة.

ـ هل جاءت إلى مكتبك؟

ـ نعم، ولكن لا تخف، فأنا أشك في عودتها.

ـ لم أتوقع أن تفعل شيئاً كهذا. أرجو أن تكوني قد قمت بدورك جيداً.

ـ أنا أعيش لأرضي الآخرين. لكنني سأقدّر لها عدم عودتها مجدداً.

ـ ليس لديّ نفوذ عليها. لكنها إذا اقتنعت بأن خطبتنا حقيقية

فستتركني وشأني.

فقالت مفكرة: «أتوقع أن تبقى منتظرة إلى أن نفسخ خطبتنا، فتعود إليك عندئذٍ».

ـ كارمن ليست صبوراً إلى هذا الحد.

ـ إلى أي حد عليها أن تصبر؟ فخطبتنا لن تستمر طويلاً، ذلك أن أمك ستشفى قريباً.

ـ لا تستمري في الحديث عن إنهاء الخطبة، فقد يسمعك أحد.

ـ لا أحد سيسمع، فأنا لا أتحدث الآن أمام جمهور.

ـ ليس الآن، ولكن إذا بقيت في حالتك الذهنية هذه، سيزلّ لسانك أمام أي أحد.

ـ آه، ما أسوأ ما سيكون ذلك!

ـ سأحرص على أن يكون سيئاً للغاية.

وكان الفولاذ في لهجته واضحاً جلياً.

ـ هذا تهديد آخر. هل هذه هي طريقتك في الحياة؟ أنا خطيبتك فأظهر بعض الشغف والحب.

وكادت تضحك وهي تتصور وجهه في الناحية الأخرى من الخط.

ـ معك حق. سآتي لأخذك إلى العشاء الليلة، وسنمثل معاً دور العاشقين الهائمين المفتونين. تمثيلك الليلة الماضية لم يكن وافياً.

ـ ماذا؟ أنا تصرفت بشكل رائع وأمك مقتنعة بأنني أعبدك.

أجفلت لانزعاجها من قوله هذا. أي نوع من الإداء كان يتوقعه منها؟

ـ كنت تتوترين كلما لمستك، والمغرمون يزدادون ارتياحاً بجانب بعضهم بعضاً.

ـ ربما أنت تعلم عن ذلك أكثر مني بعد تلك العلاقة المحمومة مع كارمن.

www.elromancia.com

- انسي كارمن. أنت بحاجة إلى تدريب.

- أما أنت فلا؟

- حسناً، سنتدرب نحن الاثنين. هل الساعة السابعة وقت مناسب؟

وافقت موللي على الموعد ووضعت السماعة، وقلبها يخفق توقعاً. أي نوع من التدريب يفكر فيه نك؟ وكيف سيجعلها ترتاح بجانبه؟

***

لم يصدق نك أنه سيتعشى مع موللي مرة أخرى، وأنه أصرّ عليها بذلك. لقد رافقها ليلة الأربعاء الماضي إلى الحفلة. ثم ذهب معها إلى منزل أمه، وخطط لرؤيتها ليلة غد في حفلة الرقص الخيرية. لكنه الليلة مرهق للغاية. الواقع أن موللي ماغاير تثير فضوله، فهي لا تشبه أي امرأة عرفها ولديها الاتزان الذي تفتقده معظم النساء أمثال كارمن. وآخر ما تفكر فيه هو المال.

عندما يفكر في موللي، يجد من الصعب أن يتذكر أي شيء ماعدا عينيها اللامعتين وفمها الجميل وسلوكها الجريء.

وقف وسار إلى النافذة ونظر إلى «ساحة يونبون» الفسيحة حيث يبدو الخليج. لم يستطع أن يرى شقتها في الحي الصيني، أخذ يحدق بالمباني متأملاً. أتراها تقوم بلعبة ما؟ أم أنها واضحة كما تبدو؟

لم يستطع أن يرى كيف كان بإمكانها أن ترتب فرصة تعارفهما الأولى. كيف لها أن تعلم عن كارمن، وسبب وجوده في المقهى؟

ومع ذلك، لم يستطع إلا أن يفكر كيف ظهرت صورهما في الصحيفة وكم أحدثت الصحيفة من ضجة حول خطبته المزعومة. موللي بحاجة إلى أن توضع تحت المراقبة. لكنها مادامت لا تثير مشكلة، فسيتابع معها التمثيلية. لأن شفاء أمه يأتي في المقام الأول. وإذا ساعدها ادعاؤه هذا

على الشفاء، فهو حتماً سيطيل من أمر الخطبة.

سيكونان مرغمين على البقاء معاً بطبيعة خداعهما. كان دوني يتحرى عن خلفيتها، ذلك أن نك ليس بالرجل الذي يؤخذ بالمظاهر. ومع ذلك، لم يكن من الصواب تضييع الفرصة. فهو لم يصل إلى ما وصل إليه في دنيا الأعمال بتجاهله الفرص عند ظهورها.

***

عند الساعة السابعة بالضبط، سمعت موللي قرعاً على بابها، ففتحته من دون أن تدهش لرؤية نك. أما ما أدهشها فعلاً فكان خفقان قلبها عندما رأته.

بدا أطول مما تتذكر وأكثر حزماً ببذلته الداكنة وقميصه الرمادي.

قال من دون ابتسامة تضيء وجهه، ولا لمحة ترحيب:

- جاهزة؟

أومأت بالإيجاب وهي تتساءل إن كانت معتوهة لتمضي السهرة معه. إذا كان سيمضي العشاء مقطباً جبينه هكذا، فالأفضل لها أن تخرج وتأكل وحدها!

- هل هذا مناسب؟

قالت هذا مشيرة إلى ثوبها الأزرق الصارخ. لم يكن لديها فكرة إلى أين سيأخذها، فبدت بالمقارنة مع شكله الرزين أشبه بإعلان مضيء. لكنها كانت تحب الألوان الصارخة.

انحدرت نظراته من وجهها إلى جسمها. وشعرت بقلبها يزداد خفقاناً.

- يكفي أن تقول نعم أو لا.

قالت هذا بحدة، خائفة من أن يرى تأثير مظهره عليها.

ـ نعم.

حملقت فيه باستياء لأنه لم يقل أكثر من ذلك ولكن كان عليها أن تتذكر أن هذا ليس موعداً غرامياً حقيقياً.

ـ أنت لم تخبرني إلى أين نحن ذاهبان. هل ملابسي أكثر تألقاً مما ينبغي؟

سألته وهي تخطو جانباً لكي يمرّ.

ـ هذا يعتمد على نوع خططك.

ومدّ يده يمسك بذقنها ويطبع قبلة خفيفة على خدها: «إذا كنت ستذهبين إلى النوم، فملابسك حتماً أكثر مما ينبغي».

ـ العشاء؟

قالت هذا وقد تملكها الغيظ لتسارع خفقان قلبها بسبب هذه القبلة البسيطة، إنه على صواب! كلاها بحاجة إلى تدريب ليشعرا بالارتياح مع بعضهما البعض: «لكن القبلات ليست طريقة للابتداء».

ـ الابتداء بالعشاء؟

قطبت جبينها وقد أدركت أنها فكرت بصوت مرتفع. فتراجعت عنه عدة خطوات: «لا، بل الابتداء بالشعور بالارتياح. أظنك قلت إننا بحاجة إلى تدريب لنشعر بالارتياح مع بعضنا البعض».

أومأ وهو يتأملها بعينين ضيقتين: «علينا أن نبدو كحبيبين حقيقيين أمام الناس».

ـ حسناً، لكننا لسنا أمام الناس الآن.

هز رأسه وهو ينظر في أنحاء الشقة القائمة على السطح. وتفاجأ بصغر حجم المكان وافتقاره للمساحة، كما تفاجأ بالصور الملونة المرسومة على الجدران، وقطع الأثاث المتنوعة المريحة.

كانت الأرض خشبية، وقطع السجاد ملقاة هنا وهناك. فكر في أن

ذلك يتلاءم مع شخصيتها. ونظر إلى السلم الحلزوني الصاعد إلى غرفة النوم. كيف تراها تبدو غرفتها تلك؟

ما قاله سلفاً قصد به أن يثيرها. فهي تشتعل كالنار عندما يغيظها، وكان قد ابتدأ يتطلع إلى الدلائل.

ثوبها كان ملائماً تماماً لعشاء لشخصين. ولاحظ تلك التصاقه على جسدها الرشيق. لم يكن لديها مزايا كارمن الطبيعية من امتلاء لكنها كانت تمتاز بشيء أنثوي مثير تفتقر إليه كارمن. وحالياً، وجد تلك نفسه يفضل الرشاقة الهادئة على الإثارة الصارخة.

تناولت مولي معطفاً دافئاً، فدرجة الحرارة تنخفض بسرعة بعد حلول الظلام.

مدّ يده يمسك عنها المعطف مظهراً لباقته فأثار بذلك فضولها.

بالرغم من إكراهها على خطبة المصلحة هذه، وعلى الأخص مصلحته هو، افتتنت بالرجل. عندما يعرفان بعضهما البعض بشكل أفضل قليلاً، ربما سيتلاشى هذا الافتتان. ولكن، حتى ذلك الحين ستستمتع بهذا اللغز.

اللغز الأكبر هو لماذا احتاج إليها لكي تمثل دور الخطيبة بينما بإمكانه أن يحصل على أي امرأة في سان فرانسيسكو فتقفز فرحاً لهذه الفرصة؟

* * *

٥ ـ تحرّيات

بقي نك صامتاً طوال الطريق وأقسمت موللي في سرّها على ألاّ تكون هي البادئة بالحديث. فأخذت تنظر حولها وكأنها لم تر المدينة من قبل.

وعندماقترب نك من منطقة «ليتل إيتالي»، حيث تكثر المطاعم والنوادي الليلية، أوقف السيارة ونظر إليها: «هل الطعام الإيطالي يناسبك؟».

ـ ممتاز.

وكادت تضحك لنظرة الحرص التي بدت في عينيه. وكانت تتحدث بمثل إيجازه، فسألها: «ما المضحك؟».

ـ لا شيء. تساءلت فقط عما إذا كان هذا كله جزءاً من خطتك.

ـ خطتي؟

ـ أنت تعلم. التدريب يجعل الخطة كاملة. لأنها إذا كانت كذلك، عليّ أن أخبرك بأن عليك أن تقطع طريقاً طويلاً.

ـ أحقاً؟

ـ إذا كان هذا موعداً حقيقياً، ألا تظن أن عليك أن تتصرف بشكل مختلف؟

ـ هذا موعد يمكننا فيه أن نرسخ بعض القواعد المتعلقة بخطبتنا.

ـ يا له من حب شاعري تغمرني به!

مال إليها وعيناه تلمعان: «هل تريدين حباً شاعرياً؟».

فتنتها نظرته وتعلقت عيناها بعينيه، ومرة أخرى عرفت خفقان القلب وانحباس الأنفاس. وغامت عيناها بحسّ من الإثارة. كيف سيكون شعورها لو كانت علاقتهما غرامية؟

فقالت: «لا».

أتراها تنكر ذلك على نفسها أم عليه؟ ومالت إلى الخلف، محاولة أن تفكّ عنها السحر الذي تملّكها: «لا، أنا لا أريد حباً شاعرياً. لكنك قلت إننا بحاجة إلى تدريب. وكنت أتوقع مزيداً من... الرقة كما أظن».

ـ الرقة؟

وبدا عليه الإجفال، ثم ضحك. وطرفت بعينيها لتغيّر ملامحه، وخفق قلبها! ثم غمرتها موجة ساخنة وهي تنظر إليه.

الأفضل لها أن تحاذر بقرب نك بايلي!

ـ جاء دوري لأسألك ما المضحك؟

ـ أرى أن عليّ أن أهذّب تصرفاتي.

ومدّ يده إلى مقبض باب السيارة يفتحه ويشير إليها بالخروج.

ـ شيء ما يخبرني بأنك لست بحاجة إلى تدريب.

فقال وهو يشير إلى مطعم ايطالي صغير عبر الشارع: «وما هو هذا (الشيء)؟».

ـ أنا واثقة من أن لديك خبرة واسعة.

ـ أنت تمنحينني قيمة أكثر مما أستحق.

ـ لا أدري. لا تنسَ أنني قابلتُ كارمن، وهي برهان حاسم. ولا أظنها أول امرأة تعرفها.

ـ أنا في السادسة والثلاثين من عمري. أتظنين رجلاً في عمري لم يواعد في حياته؟

ـ يواعد؟ آه، هذا ما تصف به هذا الأمر إذن! هذا الوصف قد يكدّر

www.elromancia.com

كارمن.

فتوتر فكّه: «أنا حقاً لا أريد أن أمضي السهرة في الحديث عن كارمن. بل أفضّل أن أمضيه في الحديث عنك».

فقالت بدهشة: «عني؟».

كانا قد وصلا إلى المطعم فدخلاه وتفاجآ بالحشد فيه: «تباً لذلك! نسيت أنها ليلة الجمعة».

تمتم بذلك وهو يسير إلى المدير. وقال ينبهها: «سيكون علينا أن ننتظر».

فهزت كتفيها: «لا يهم».

عندما ذكر اسمه للمدير، منحه هذا ابتسامة عريضة: «السيد بايلي، هذا سرور لنا. أنا مسرور برؤيتك ورؤية خطيبتك. تفضلا من هذه الناحية. لديّ مائدة رائعة لكما».

تبعته مذهولة، متجاهلة تذمر الناس خلفها. وخلال ثوانٍ كانت تجلس حول مائدة صغيرة في زاوية منعزلة أنيقة وهادئة في المطعم.

أحضر لهما النادل قائمة الطعام فاختفت خلفها حتى غادر الرجل ثم رفعت بصرها إلى نك: «لابد أن حصولك على صديق في مكان مناسب هو شيء حسن».

ـ أنا لا أذكر أنني رأيت هذا الرجل من قبل. لكنني أكلت هنا مرة أو اثنتين.

خفضت بصرها إلى قائمة الطعام.

ـ هل يحدث هذا معك غالباً؟

سألته وهي تلقي بالقائمة جانباً إذ كانت تعلم أنها ستطلب لحم العجل، فهذا ما تطلبه دوماً في المطاعم الإيطالية.

فوضع قائمته جانباً: «أحياناً، إذا كانوا يعرفونني ويعرفون أنني

سأمنحهم شيئاً».

ـ بقشيشاً جيداً؟

ـ توصية من فندقنا عندما يسأل النزلاء الأجانب عن مطعم جيد يقصدونه.

ـ هممم... هذا جميل. ربما علينا أن نكثر من الأكل في الخارج طالما دامت هذه الخطبة. أراهن على أنني سأرى أماكن لم أعرفها من قبل.

تصلّب جسم نك للحظة بشكل غير ملحوظ، لكن موللي انتبهت لذلك: «ماذا؟».

ـ ماذا تعنين؟

ضاقت عيناها وهي تتأمله: «لم يعجبك ما قلتُه. ما الذي جعلك تنقبض؟».

ـ فلنقل إن لدي بعض التحفظات.

ـ بالنسبة إلى ماذا؟

ـ إلى الوضع كله.

طرفت بعينيها ثم استندت إلى الخلف: «أي وضع؟ خطبتنا الزائفة؟».

ـ منذ يومين لم أكن أعرفك. والآن مدينة سان فرانسيسكو بأجمعها تعتقد بأننا خطيبان، وما زلت أنتظر لأعرف ما الذي تتوقعينه من هذا كله.

قطبت جبينها: «أنت تثير جنوني. أنا احتجت إلى شخص لأجل حفلة «زنتك» لليلة واحدة فقط. أنت الذي أدمت هذه الخطبة، فلماذا تصرّ على أنني أريد شيئاً منك؟ هل تراودك دوماً مثل هذه الشكوك؟».

ـ دوماً، فهذا يبقي المشاكل بعيدة.

تجاهلته وبحثت في حقيبة يدها ثم أخرجت قلماً وبطاقة أخذت تكتب

www.elromancia.com

عليها.

- ماذا تفعلين؟

- لا أدري إذا كان هذا قانونياً، ولكن هذا ما ينبغي أن يكون. إنه اعتراف بخطي بأنه لا يحق لي أن أطلب أي شيء منك.

ووقعته ثم دفعته إليه عبر المائدة، وهي تقول متوترة: «إذا لم يناسبك هذا، فاعتبر إذن أن خطبتنا انتهت، وفكر في طريقة تخبر بها أمك».

نظر إلى البطاقة، وفي هذه اللحظة جاء النادل فوضعها نك في جيب سترته بينما وضع الرجل كأسي الماء على المائدة: «ماذا ترغبان في الأكل».

عندما أخبره نك بما اختاراه. نظر إلى موللي التي كان الاحمرار مازال يكسو وجنتيها، والغضب يلمع في عينيها. ما كان له أن يضايقها لكن الفضول ما زال يتملكه لردة فعلها هذه.

- نك بابلي، هذا ما ظننته.

وتقدم إلى مائدتهما رجل طويل يرتدي بذلة عمل: «تهانيّ. قرأت عن خطبتك في الصحيفة. هل هذه خطيبتك؟».

نهض نك وصافح الرجل وأومأ: «موللي أعرّفك إلى جاسون هولتون. هذه موللي يا جاسون».

ابتسم الرجل لها: «يسرني أن أتعرف إلى المرأة التي استطاعت أن تفوز بصديقنا. لم يظن أحد أنه سيرى هذا اليوم. متى موعد العرس؟».

ونظر إلى نك: «أتوقع أن يكون أفخم عرس شهده سان فرانسيسكو. فكر في كل الذين سيحضرون المناسبة فقط كي يروا حدوث المستحيل».

-هل كان نك يتهرب من الزواج؟

ألقت هذا السؤال متفكهة بالارتباك الذي سبّبه جاسون لصديقه.

- كان يعبث بشكل...

وأدرك فجأة إلى من يتحدث: «آه، أنت تعرفين حال الرجل قبل أن يعثر على المرأة المناسبة».

فقال نك بجفاء: «ربما عليك أن تدع موللي تستمتع بجهلها بماضيّ. وعد أنت إلى سيليست».

- لقد ابتدأنا العشاء لتوّنا. ربما عندما ننتهي جميعاً نجلس معاً لتناول القهوة.

فقال نك بحزم: «لدينا مشاريع لبعد العشاء».

نظر جاسون إلى موللي، ثم عاد إلى نك: «بكل تأكيد. إنني أفهمكما. فلندع ذلك لوقت آخر».

وربّت على ظهر نك ثم أومأ إلى موللي محيياً: «يمكنك أن تتعرفي إلى سيليست في المرة القادمة. تهاني لكما».

انتظرت موللي إلى أن أصبح بعيداً ثم مالت إلى الأمام وقالت بهدوء: «كيف يكون حال الرجل بالضبط قبل أن يجد المرأة المناسبة؟».

فرفع حاجبيه: «أعتقد أن هذا النوع من الأمور لا يأتي الرجل أبداً على ذكره عندما يجد المرأة المناسبة».

- ولكنك تحاول أن تخبرني بأن ليس لديك كل تلك الخبرة؟

- جاسون يبالغ، فقد تزوج سيليست حال خروجه من الجامعة. وما زال يشعر بأنه كان عليه أن يعبث قبل الزواج.

- وهل هذا صحيح؟

فهز نك رأسه: «أظن زواجهما سعيداً، لم تنتشر قط عنهما أي نوع من الشائعات. أنا أحد أصدقائه الذين مازالوا عازبين».

- ولماذا؟

لقد أدركت موللي فجأة أنها تريد أن تعلم كل شيء عن الرجل. ليس لكي تجيب على أسئلة قد تُوجه إليها، ولكن إرضاءً لفضولها. إنها تعرف

اللون الذي يحبه والطعام الذي يفضله، ولكن هناك الكثير مما لا تعرفه. وليس هذا لأنها بحاجة إلى الانخراط التام في حياته. ذلك أن هذه الخطبة المؤقتة قد تنتهي بنفس السرعة التي حدثت بها، ولكن حتى ذلك الحين تريد أن ترضي فضولها بمعرفة ما تستطيع أن تعرفه عن هذا الرجل.

هز كتفيه: «في العمر الذي يبدأ فيه الرجل بالبحث عن رفيقة حياته كنت أكافح في سبيل التحكم بسلسلة فنادق ماغيللان. وكان أبي قد مات فجأة بنوبة قلبية، فرأيت نفسي في سن الخامسة والعشرين أخلف أبي، وأدير السلسلة عنه».

- أتريد أن تخبرني أنك لم تخرج مع نساء طوال السنوات العشر الماضية؟

- كلا بالطبع. لكن نوع النساء اللاتي عرفتهن لم يكن يصلح للزواج. كانت مواعيد لمناسبات عمل أو احتفال جمعيات خيرية.

- أو لمجرد المتعة؟

فأومأ: «أو لمجرد المتعة».

- لكنهن لسن من نوع النساء اللاتي تأخذهن إلى بيتك وتقدمهن إلى أمك.

- عندما يأخذ الرجل امرأة إلى بيته ليقدمها لأمه، عليه أن يكون حذراً.

ابتسمت موللي، محاولة أن تتصور نك خائفاً من تعليقات أمه إذا أحضر امرأة إلى البيت. ولأمر ما، لم تقنعها الصورة، ذلك أن نك لم يكن ممن يرهبهم أحد.

- لدي إحساس بأن بإمكانك أن تواجه أمك.

- ليس مؤخراً. مازلت لا أعرف ما تريدينه من وراء كل هذا، لكنني سأبذل جهدي كي تُشفى أمي.

نظرت إليه موللي، متسائلة كيف لا يستطيع أن يفهم أن بعض الناس

يساعدون الآخرين لمجرد الخدمة. إنه مقتنع بأن دوافعها مادية. هل يمكن له يوماً أن يغير نظرته إليها؟

- عليك أن تنتظر لترى.

- أقول لك على سبيل التحذير إنني لست خصماً يسهل التغلب عليه. حذار وإلا ستكونين أنت التي ستتألمين في النهاية.

بعد وجبة لذيذة وخدمة ممتازة، خرجا وهما يلوّحان لجاسون وزوجته مودّعين. وقد سرّت موللي لعدم اضطرارها إلى تناول القهوة معهما. فالإدعاء أمام أمه المريضة هو شيء، والتمثيل أمام أصدقاء يعرفونه جيداً ويعرفون أنها ليست النموذج الذي يعجبه، هو شيء آخر، لأنه من المحتمل أن يحلل أصدقاؤه الأمور أكثر من أمه.

عندما جلست موللي في السيارة بعد ذلك بلحظات، تذكرت أنهما لم يتدربا على شيء. أو لم يكن هذا هو سبب خروجهما؟ وبدلاً من ذلك أخذا يثرثران، أثناء العشاء، بأسلوب ودي تقريباً، كما أنه لم يمسك يدها، ولم يعانقها، كما لم يدعها حبيبتي أو عزيزتي أو بأي شيء شاعري حتى أمام النادل.

عندما جلس نك وراء المقود، التفتت إليه: «ماذا عن ذلك التدريب الذي تحدثت عنه؟».

- هل في ذهنك شيء خاص؟

سألها بكسل وهو ينظر إليها. كان الظلام قد حلّ والضوء الوحيد كان ضوء الشارع ولافتات النوادي الليلية والمطاعم حول الساحة.

تحت الأضواء الخافتة والظلال بدا شكله أكثر شبهاً بالقرصان.

وارتجفت موللي، هل يمكنها السيطرة على مشاعرها؟

- أنت أثرت الموضوع. ماذا في ذهنك؟

فقال بكسل: «أولاً، أن نتعرف أكثر على بعضنا وبهذا لن تنفعلي

عندما تكونين بقربي».

ـ أنا لست سريعة الانفعال!

مال نحوها وتسلل بيده إلى رقبتها فتسارعت خفقات قلبها. وسمرّتها عيناه السوداوان اللتان اشتبكتا بعينيها، حاولت أن تأخذ نفساً عميقاً تهدىء به أعصابها وتسترجع تسلسل أفكارها.

سألها: «إذا عانقتك، هل ستعتبرين ذلك تدريباً؟!

كلمة(تدريب) ليست الكلمة المناسبة، كما أخذت تفكر! «البهجة» و«الاثارة»... قد تصلح أكثر وهذا لا يعني أنها ستشارك هذا الرجل المتغطرس هذه الانفعالات. لقد حان الوقت لكي يشعر بالإذلال: «سأعتبره كذلك ولكن هل ستعتبره أنت كذلك؟».

قالت هذا وهي تميل نحوه وكادت تبتسم لما أحست به منه من إجفال. ولكن سرعان ما جذبها نحوه وأخذ يغذي بخبرته المشاعر المحمومة التي ابتدأت تثور. أحاطها بذراعيه مشدداً من احتضانها، بينما تشبثت هي بكتفيه وكأنها تتشبث بحبل النجاة.

تفجر عالم من الألوان خلف جفنيها المغمضين ورهُفت حواسها. وتراقص قلبها فرحاً وسمعت خفقات قلبه، وارتفعت الحرارة بشكل مثير حتى تمنت موللي أن تفتح النافذة لتدع ضباب الليل ينعش الجوّ.

ولكن ليس إلى حد يجعلها تقطع هذا العناق الذي أملت أن يستمرّ إلى الأبد.

بعد لحظات طويلة، تراجعت موللي ورفعت بصرها إلى نك. تنحنحت، وتمنت لو أنها كانت محنكة حاضرة البديهة، لكنها أكثر من ذلك، تمنت لو تعود فتلقي بنفسها عليه وتعانقه حتى الصباح.

قالت: «ربما هذه ليست فكرة جيدة. أنا أعلم أنك تريد تدريبي وما شابه، ولكن هذا يكفي لهذه الليلة».

لامس نك وجهها، ثم استند إلى الخلف ونظر حوله: «تباً لذلك! لا يمكنني أن أصدق أنني نسيت أننا وسط «ساحة واشنطن» في منتصف ليلة الجمعة. على الأرجح أن نصف سكان مدينة سان فرانسيسكو قد رأونا».

ـ لا أحد يمكن أن يرانا في هذا الظلام

قالت هذا وهي تستند إلى الخلف شاعرة فجأة بالبرد. كان بإمكانه أن يقول شيئاً يلطّف من هذا التوتر، لكنه، بدلاً من ذلك عاد إلى التقطيب، متجهاً بالسيارة إلى الحي الصيني ومنه إلى شقتها. كلاهما بقي صامتاً طول الوقت.

نظرت إلى الأنوار محاولة أن تتجاهل الدم الذي مازال يندفع في عروقها، والشوق الذي ملأ كل خلية فيها. لم تعرف مثل هذا الشعور من قبل. هل هذا لأنها عانقت رجلاً لا تكاد تعرفه؟ فاكهة محرمة، كما يقول المثل؟ أم أن هناك شيئاً فريداً في شخصية نك؟

لم تشعر أن من السهل معرفته. فقد أرغمها على التعاون معه في هذه التمثيلية مع أن ذلك يتناقض مع سمعته. وبعد أن اقترح هذا المشروع، وضعها تحت المراقبة. ومع ذلك، كان سلوكه الليلة ودوداً حريصاً على الإرضاء.

عندما وصل إلى شقتها، أوقف السيارة ونظر إليها: «أنا لن أصعد معك، إذا كان هذا لا يزعجك؟».

كبحت موللي ضحكة قصيرة فهذا جُلّ ما كانت تريده هذه الليلة، إذ عليها التحكم بمشاعرها.

ـ حسناً. سأراك غداً إذن.

ـ الحفلة تبدأ عند السابعة. سآتي لآخذك قبل ذلك بربع ساعة، ولن يستغرق وصولنا إلى الفندق وقتاً طويلاً. إنها حفلة رسمية.

ونظر إليها بعينين ضيقتين، متأملاً.

أومأت ثم فتحت الباب: «هذا ما توقعته. شكراً للعشاء، فقد كان ممتعاً».

ثم نزلت قبل أن يقول شيئاً وأسرعت إلى بابها الأمامي.

ـ موللي؟

التفتت، وكان قد نزل من السيارة وأخذ ينظر إليها: «ذلك العناق الذي تبادلناه... لم يكن لمجرد التدريب».

وقفت حائرة بينما عاد إلى سيارته ثم تحرك بها مبتعداً.

* * *

في الصباح الباكر من يوم السبت، تنشق نك الهواء المنعش العابق بشذا أوراق شجر «الأوكالبتس» وبرائحة البحر. وكان يتهيأ للركض في «حديقة البوابة الذهبية» العامة الأمر الذي لم يعد يقوم به بقدر ما يتمنى. هناك خمسة كيلومترات يستمتع بقطعها وتؤدي به إلى أهدأ نواحي الحديقة العامة، حتى أن بإمكانه أن يتمشى على الشاطىء.

وقفت سيارة جيب داكنة اللون خلفه وترجّل منها دوني.

ـ ألم تجد وقتاً ومكاناً آخرين؟.

قال هذا متذمراً وهو يسير إلى نك ويرشف قهوة أحضرها من بائع جوّال.

ـ لا.

كان كلاهما يرتدي سروالاً قصيراً وحذاءً للركض وقميصاً مقفلاً نضفاضاً.

ـ أجاهز أنت للركض؟

ـ لا، عليّ أن أنهي قهوتي أولاً.

ومال متكئاً على السيارة وأغمض عينيه: «أنا لست مثلك. بقيت

ساهراً حتى الثالثة صباحاً».

وفتح عينيه ونظر إلى نك: «متى أوصلت موللي إلى بيتها الليلة الماضية؟».

ـ قبل الثالثة بوقت طويل.

ومدّ نك يده يتناول فنجان القهوة ليرتشف منه جرعة طويلة.

ـ مهلاً... هذا فنجاني.

فقال نك وهو يناوله الفنجان: «كلما أسرعنا في انهائه، أسرعنا في البدء من جديد. هل عرفت شيئاً جديداً؟».

ـ عن موللي أم عن المقهى؟

ـ عن الإثنين.

حاول نك أن يجعل لهجته طبيعية، لكنه كان فضولياً وحذراً.

ـ لا شيء عنها. إنها مستقيمة.

ـ أنا لست بحاجة إلى رأي الشرطة، فأنا لا أظنها متورطة في جريمة ما. أتظن لديها خطة في ذهنها؟

ـ الشيء الوحيد الذي تمكنت من معرفته هو أنها لم تمض قط علاقة طويلة مع شخص. لا أظنها تحاول أن تحطمك. ماضيها لا يوحي بذلك، ولن تتحول فجأة إلى امرأة مخادعة.

أومأ نك وهو يستدير لينظر إلى الطريق. كان يعلم أن موللي ليست مخادعة ولكنه يريد إثبات ذلك. قال وهو يبدأ الركض: «فلنذهب».

أدركه دوني في ثانية، ثم ابتدأ الاثنان يركضان معاً.

سأله نك: «وماذا عن المقهى؟».

ـ هناك حتماً خطب ما وأظنه هاركي كوكر.

ـ هاري؟ إنه هناك منذ سنتين. ونحن لم نلاحظ النقص إلا منذ ثمانية أشهر.

- الأشياء تتغير على كل حال، وأنا أبحث في الخلفيات. ربما برز شيء منذ ثمانية أشهر فغيّره.

- هل أنت واثق من أنه هاري؟

- هناك برهان سأحصل عليه.

ركضا فترة صامتين عاد دوني بعدها ليسأله: «هل ستتخذ ضده الإجراءات القانونية عندما أحصل على البرهان؟».

- نعم على الفور، تباً له!

- هذا ما تصوّرته. ماذا لو كان لديه طفل بحاجة إلى عملية جراحية أو ما شابه؟

- تحرَّ عما يحدث ودع الأمر لي.

- نعم، يا سيدي، كما إنني لست مهتماً، تقريباً، بهذا الأمر قدر اهتمامي بما ستفعله بالنسبة إلى موللي.

- أنا لا أفعل شيئاً معها.

- الخروج برفقتها أربع مرات هذا الأسبوع يبدو وكأنه شيء ما.

- كيف عرفت بمسألة ليلة أمس؟

- هيه... لا تنسى أنني التحري الخاص البالغ المهارة.

خرجا من تحت الأشجار إلى الجزء الذي ينحدر نحو الشاطىء.

فكر نك في سؤال دوني عن موللي عندما ابتدأ الركض على طريق ترابي. ما الذي ينوي عمله بالنسبة إليها؟

لم يتعلق عناق الليلة الماضية بالتدريب. كان ناجماً عن مشاعر صرفة.

لم يتملكه مثل هذا الشعور نحو امرأة منذ سنّ المراهقة كما أنه كان معروفاً بضبط النفس. لكن عناق موللي نسف ذلك.

- هل لك أن تشاركني النكتة؟

- ماذا؟

ونظر إلى دوني.

- أنت تبتسم. ما المضحك؟

- لا شيء.

كان يتساءل فقط عما عسى تكون فكرت فيه بالنسبة إلى آخر ما قاله لها عندما افترقا في الأمس.

* * *

السبت هو يوم موللي المفضّل، ففيه تنهض باكراً، وتتناول فطوراً بسرعة ثم تبدأ في الرسم. وهو بالنسبة إليها يوم راحة، تبتعد فيه عن الزبائن وذوي النفوذ والرؤساء الذين يتوقعون المعجزات أحياناً، والذين يعتبرون الفن سلعة وليس إبداعاً.

أحبت العمل في شركة «زنتك»، لكنها أحبت الرسم، وحلمها هو أن تتمكن ذات يوم من أن تعيل نفسها من فنها، لكن ذلك اليوم لم يأت.

هي دائماً تعرض بعضاً من لوحاتها في معرضين للفنون في المدينة. واحد بجانب المرفأ، والآخر قرب «ساحة يونيون». كلاهما صغير لا يزال في طور النموّ. إلا أن اللوحات التي باعتها ساعدتها في زيادة دخلها، ومكّنتها من شراء شقتها. فضلاً عن أن هوايتها، كما يدعوها والداها، خوّلتها قضاء إجازاتها في أماكن غريبة.

كانت اليوم تريد أن تضع اللمسات الأخيرة على لوحة أمضت في رسمها عدة عطلات أسبوعية في «حديقة البوابة الذهبية» العامة، وهي تمثل جزءاً من «حديقة الشاي اليابانية» حيث تبدو أغصان الصفصاف منحنية تلثم الماء الذي يعلوه جسر صغير. كانت ترسم باللونين الأخضر والبني وكانت مسرورة من النتيجة.

ارتدت بنطلون جينز مريحاً وقميصاً قطنياً ناعماً ثم دسّت فوق ثيابها

مئزراً ملطخاً بالألوان ترتديه أثناء الرسم. كان الجو دافئاً إلى حد استغنت فيه عن الحذاء. اغتسلت بسرعة وغسلت أسنانها. ثم رفعت شعرها إلى الخلف كي لا يزعجها أثناء الرسم.

تفحصت اللوحة لحظة فرأت أنه بعد ساعتين ستكون اللوحة قد انتهت. ومدت يدها إلى الألوان.

عادة، ما إن تلمس الفرشاة حتى تضيع في عالم الألوان والأشكال. لكنها اليوم لم تشعر بالراحة. رسمت ورقة شجر ثم أخذت تفكر في نك وعناقه. تأملت صورة المياه، لكنها بدلاً من ذلك، رأت صورتهما، هما الاثنين، أثناء العشاء الليلة الماضية. ورغم جهودها، لم تعرف عنه ما تريد أن تعرفه. إنه إما بطل في النفاق، وإما أكثر تحفظاً مما تظن.

مرة أخرى حولت انتباهها إلى اللوحة. لم تكن تريد مداومة التفكير في نك، فاليوم هو اليوم الوحيد الذي يمكنها فيه أن تكرس نفسها للرسم. وغداً لديها واجبات منزلية عليها أن تقوم بها وبعد ذلك يبدأ العمل الأسبوعي.

ماذا كان يفعل نك اليوم؟ هل أمضاه في المكتب؟ في لعب الغولف؟ في رحلة بحرية؟ أما عليها أن تعرف هوايات خطيبها المزعوم؟

وضعت الفرشاة ولوحة الألوان، ثم سارت لتبحث في حقيبة يدها.

أخرجت الورقة التي أعدّها لها دوني. كانت قد ألقت عليها نظرة عندما ذهبت إلى بيت والدة نك ذلك اليوم، لكنها لم تستوعب كل شيء، وأخذت تقرأ بسرعة. كان الأمر كما ظنت تماماً، ذلك أن دوني لم يسجل هوايات نك.

تملكها الغضب وعادت إلى الرسم.

أخذت تضع اللمسات الأخيرة على اللوحة، بينما كانت أفكارها مشتتة بين العمل وبين نك بايلي.

٦ ـ مسرح الخداع

بعد وقت قصير، أجفلت موللي لرنين الهاتف. نادراً ما كانت تتلقى مكالمات يوم السبت، فمعظم أصدقائها يعرفون أنه اليوم الذي تتفرغ فيه للرسم. ورفعت السماعة:

ـ آلو؟

ـ موللي. أنا إيلين بايلي. أرجو ألاّ يكون اتصالي في غير وقته.

بدا صوت المرأة أقوى مما عهدته سابقاً.

ـ على العكس. كيف حالك؟

ـ أحسن بكثير، شكراً. لكنني أشعر بنفسي قوية بما يكفي لأحظى برفقة على الغداء. هل لك بالمجيء؟ ذلك سيمنحنا فرصة للتعارف دون أن نهتم لِنك.

ـ نهتم لنك؟

ضحكت إيلين برقة: «حسناً، لا يمكننا أن نتحدث عن كل ما نريده إذا كان جالساً معنا».

تملك موللي الفضول: «وما الذي عسانا نتحدث عنه من دونه؟».

ـ عن طفولته مثلاً... لديّ ألبومات إذا كنت تحبين رؤية بعض صور الأسرة القديمة.

نظرت موللي إلى اللوحة التي كانت قد انتهت لتوّها من رسمها والتي لا تزال تتمسك بها لأنها كانت تكره دوماً أن تنهي مشروعاً. وإلى أن تجد

موضوعاً جديداً، تبقى شاعرة بالضياع.

وقالت إيلين بكبرياء: «إذا كان لديك مشروع آخر، سأتفهم ذلك».

لم يكن لدي موللي أي مشروع آخر، أو أي سبب يجعلها ترفض، ما عدا أنها لم تشأ أن تتورط أكثر من ذلك. لكن الوحدة في صوت المرأة أثّرت عليها. كم سيكلفها قضاء ساعتين مع إيلين بايلي؟

- لا، ليس لدي مشروعات أخرى. متى علي أن أحضر؟

- في الثانية عشر والنصف.

ثم أقفلت الخط.

ترددت موللي لحظة، ثم حاولت الاتصال بنك في الفندق. دهشت قليلاً وهي تكتشف أنه لا يعمل يوم السبت، ولم يكن هناك من يخبرها أين هو.

أقل ما كان يمكنه فعله هو أن يعطيها رقم هاتفه الخليوي أو رقم بيته، كما أخذت تفكر متذمرة وهي تبحث عبثاً عن ذلك في دليل الهاتف.

قلقت من ردة فعل نك عندما يعلم أن موللي وأمه تناولتا الغداء من دونه وفكرت في أنه ربما سيتهمها بمحاولة خداع أمه لتتنازل لها عن ميراثها.

* * *

عندما وصلت موللي، أرشدتها مدبرة المنزل إلى غرفة إيلين بايلي. وكانت هذه ترتدي قميصاً ملوّناً وتجلس مستندة إلى عشر وسائد. وعندما وصلت موللي بادرتها بابتسامة عريضة مرحّبة وكان التحسّن بادياً عليها.

- أنا مسرورة جداً لمجيئك يا موللي. وسامحيني إذا لم أقف لك فقد سبق وحاولت ذلك فكان مجهداً للغاية. لذا قررت أن أرتاح وأكرس طاقتي لهذه الزيارة، بدلاً من أن أجلس على كرسي.

- لا عليك. وإذا كان وجودي هنا يتعبك، أخبريني بذلك فأخرج حالاً.

نظرت موللي إلى الممرضة، فابتسمت هذه لها مرحبة، ثم انتقلت لتجلس بجانب النافذة.

- وجودك هنا أشبه بالدواء المقوّي. أتريدين أن تشربي شيئاً؟

- سأنتظر حتى الغداء. كيف حالك؟

وجلست على كرسي بجانب السرير. مازالت إيلين تبدو هشة كما كانت تلك الليلة، وفكرت في أنها لابد هزلت كثيراً أثناء المرض.

- أنا أحسن بكثير. شكراً يا عزيزتي. لاحظت تلك الليلة أن خاتم الخطبة لم يكن في إصبعك، وتصورت أنك لا بد تركته في البيت أو ما شابه. ألم أر خاتماً في صورة الصحيفة؟

- آه.

حاولت موللي أن تفكر، راجية ألاّ تفضحها ملامحها، لا سيما أنها لم تكن بارعة في اختلاق الذرائع: «لديّ في الواقع خاتم جميل، لكنني لا ألبسه أثناء الرسم. لا أريده أن يتلطّخ. وعندما اتصلتِ بي كنت أرسم، وهكذا نسيت أن أعيده إلى إصبعي عندما غسلت يديّ».

عليها أن تتذكر دوماً أن تضع خاتم جدتها في إصبعها. وأخذت إيلين تسألها بلهفة: «أنا متلهفة لرؤيته. أخبريني مرة أخرى كيف تعرّفت إلى نك وكيف عرض عليك الزواج. هل كان الأمر مفاجأة؟ هل كان ذلك رومنسياً؟».

- دوني عرّفنا ببعضنا البعض.

قالت موللي هذا آملة ألاّ تلح المرأة في القاء الأسئلة. ما الذي أخبره نك لأمه؟ ماذا لو اختلفت قصتيهما؟ وتابعت تقول: «ليس من وقت طويل، في الواقع، كان ذلك بعد حب عاصف».

على الأقل عليها أن تقول هذا. . . وعادت تقول: «أنا متلهفة لرؤية نك وهو صغير».

أفضل طريقة لتمضية فترة الغداء هو أن تدع إيلين تتحدث عن نك، مكتفية هي بالإصغاء. وبهذا تأمن زلة اللسان.

قالت إيلين مخاطبة الممرضة: «هلا ناولتني أول ألبوم، يا سيدة براوم؟».

نهضت الممرضة وأحضرت لها الألبوم وهي تقول: «سأنزل إلى المطبخ لأرى ماذا جرى مع شو ـ وين بالنسبة إلى الغداء الذي لابد أصبح جاهزاً الآن».

ـ سنكون هنا.

قالت إيلين هذا بجفاء بعد خروج الممرضة ثم ابتسمت لموللي: «إنها عزيزة عليّ. لكنني أظن الوقت حان لكي تذهب، فقريباً أقف على قدمي وأساعدكما على التخطيط للزفاف. أنا متشوّقة للتعرف على والديك أيضاً. هل كانا مسرورين لسماعهما بأن ابنتهما ستتزوج؟».

ـ هما. . . لا يعلمان عن الخطبة.

ـ لِمَ لا؟

ـ إنهما حالياً في رحلة بحرية، ومن الصعب نوعاً ما الاتصال بهما.

طبعاً كان لدى موللي كل ما يلزم للاتصال بوالديها، لكنها لن تخبرها عن هذه الخطبة. وإذا حالفها الحظ، ستكون قد انتهت قبل عودتهما.

قالت إيلين ببطء وهي تتأمل موللي مفكرة: «أنا واثقة من أنهما متشوّقان لسماع أخبارك».

أومأت موللي وأشرق وجهها بالابتسام وهي تتظاهر بالنظر في الألبوم: «هل لديك صور لنك وهو طفل رضيع؟».

وعندما انفتح الباب بعد عدة ثوانٍ، رفع كلّ من موللي وإيلين

والممرضة نظرهنّ بدهشة. وكانت النسوة الثلاث يتأملن الصور في الألبوم. كانت موللي مستغرقة بالنظر إلى نك الذي بد لها طفلاً مشاغباً. متى أصبح بهذا الشكل الجدي الجاف؟

وكان نك يقف عند الباب ينظر إليهن جميعاً غير مصدّق.

ـ ماذا تفعلين هنا، يا موللي؟

ـ أزور أمك.

قالت هذا وهي تحملق فيه باستغراب. لقد ذهب ذلك الثري ذو البذلة الفخمة والحذاء الايطالي، ليحل مكانه رجل أكثر شبهاً بذلك القرصان الذي يذكرها به. كان يرتدي سروالاً رياضياً قصيراً وقميصاً ضيقاً يحتضن صدره الرحب فكاد منظره يخطف أنفاسها.

كان واضحاً أنه كان يمارس الرياضة.

تقابلت نظراتهما فرأت الشك في عينيه. فكرت في أنهما عادا إلى ذلك مرة أخرى، ونظرت خلسة إلى الأم والممرضة. أتراهما لاحظتا؟

وقالت خارقة الصمت: «إننا نشاهد صور الأسرة».

وسألته أمه: «ما الذي تفعله هنا يا نيكولاس؟».

ـ اتصلت بي شو ـ وين وقالت إن عليّ أن أحضر على الفور، فظننت شيئاً حصل.

فقالت الأم: «أنا طلبت منها أن تتصل بك لتعلمك أن موللي هنا. لقد دعوتها إلى الغداء، ورأيت أنك ربما تريد أن تقلها إلى بيتها فيما بعد. لكن الأمر لم يكن مستعجلاً».

ـ موللي ستبقى للغداء؟

ـ نعم.

من النظرة التي رمقها بها، عرفت موللي أن بقاءها هناك لا يعجبه. كانت تحاول جهدها أن تفكر كما تفكر أي خطيبة. ماذا يتوقع منها نك أن

تفعل إذا دعتها أمه إلى الغداء؟

ـ سأغيّر ملابسي وانضم إليكما إذن، ولكن هل يمكنني أن أرى موللي لحظة الآن؟

فقالت الأم بابتسامة عريضة: «طبعاً».

كانت تعلم أن أمه تتصور لقاءً محموماً بين عاشقين. وبدلاً من ذلك تبعته إلى الردهة خائفة من التعنيف، بينما أغلق هو باب غرفة النوم فبقيا وحدهما. ثم سألها بخشونة: «أي لعبة تقومين بها الآن؟».

ـ أمممم... أعتقد أنها اللعبة التي ابتدأت أنت بها. أخدع أمك حتى المدة التي تناسبك.

ـ أعني لماذا جئت إلى هنا هذا الصباح؟ هل ظننت حقاً أنني لن أعرف؟

كانت قد تضايقت قليلاً لشكوكه المستمرة: «هي التي دعتني. لقد تردّدت لكنها ألحّت عليّ. ألست أنت الذي تحاول أن تجعلها تتحسن؟ أظنها كانت تشعر بالوحدة والسأم، فجئت أسليها».

ـ تشعر بالسأم؟ لديها أصدقاء كثر. كان بإمكانها أن تدعو أحدهم.

ـ وماذا عن ابنها الشغوف؟

ـ أنا لا أتجاهلها. نحن لا نتحدث عني الآن. أنا لا أريدك أن تجلسي مع أمي عندما لا أكون موجوداً. هل هذا واضح؟

ـ ولِمَ لا؟

تخلل شعره بإحباط: «دعي الأمر عند هذا الحد. سأغير ملابسي وأنضم إليكما».

وبجرأة، أخذت تمرر أصابعها على ذراعه: «لا تغيّر ملابسك بسببي».

قالت هذا مداعبة، وكادت تضحك وهي ترى ملامحه المجفلة. ربما

عليها أن تبدأ في لعب دور الخطيبة لترى إن كان هذا ما يريده حقاً.

أمسك بأصابعها يضغط عليها برفق دون أن يتركها، وقال: «ما هذا الآن؟».

ـ لِمَ لا تحاول أن تثق بالآخرين أحياناً؟

ـ علمتني الحياة أن الثقة قد تحطم لي أسناني.

فمالت عليه: «آه، لا نريد أن يحدث لك ذلك لأن أسنانك جيدة للغاية».

ـ جيدة للعض.

قال هذا وهو يجذبها إليه ثم يحيطها بذراعيه.

ـ وهل أنت تعض؟

سألته باسمة متحدّية وقلبها يخفق توقعاً.

ـ أحياناً.

وأخذ ينظر إليها وهو يحني رأسه ببطء حتى انعدمت المسافة بينهما.

كان عناقه دافئاً ومفعماً بالرجولة، وتسربت إليها حرارة جسمه الصلب حتى كادت تشتعل.

كان يعلم أن عليه الابتعاد، فهو لا يريد أن يتورط أكثر مع موللي ماغاير. لكنها كانت بالغة الليونة بين ذراعيه، وبالغة العذوبة، ما أشعل نيراناً في عروقه...

وتراجع عنها ببطء ثم أراح جبهته على جبهتها، ناظراً إلى عينيها وهما ترمشان.

ـ سألتحق بكما حالما أغير ملابسي.

ـ هل عليك أن تذهب إلى بيتك لتغير ملابسك؟

وكان صوتها منخفضاً ما جعل نك لا يريد أن يتحرك مقدار سنتمتر.

ـ لا. لدي بعض الملابس هنا، ولن أتأخر.

ـ سأحاول إذن أن أتحكم في مشاعري حتى تعود.

وتراجعت، ثم اتجهت إلى الباب المفتوح. فقال ينبهها: «حذار مما تقولينه لأمي».

ـ نحن ننظر فقط إلى صور الطفولة. كنت طفلاً جميلاً. هل كنت حينذاك تشك في كل شيء مثل الآن؟

ـ الحياة تعلم بعض الدروس الصعبة.

ـ لا أستطيع أن أتصور أن أي شخص يمكن أن يعلمك شيئاً.

أجابته بذلك بابتسامة جريئة وهي تتابع: «ولكن سيسعدك أنني أتقدم في هذا التظاهر. إنه التدريب كما تعلم».

وفتحت الباب وخرجت منه وكأنها من أصحاب البيت.

أراد أن يتبعها على الفور، وينظر إلى كل ما تفعل، ليتأكد من أنها لا تحاول أن تصل إلى قلب أمه. فقد كانت موللي تعلم أن أمه واهنة الصحة. أتراها تحاول، بشكل ما، أن تستغل ذلك لمصلحتها؟

اغتسل وغيّر ملابسه في وقت قياسي. فهو لا يثق بموللي إذ يعلم أن النساء يردنه للأموال التي ينفقها عليهن، وللمتعة التي يشعرهن بها. فالحب والوفاء لم يعد لهما أثر هذه الأيام.

عندما سار متجهاً إلى غرفة أمه، حاول أن يتذكر متى بالضبط انعدمت ثقته بالنساء. هل عندما هجرته جيليان بريتنس أثناء سنته النهائية في الجامعة؟ أم بعد تلك التمثيلية التي قامت بها ماريا بيلينغهام حين استلم «فنادق ماغيللان»؟ مازال مديناً بالشكر لصديقه هاميلتون الذي جعله يسمعها من حيث لا تعلم وهي تعترف بأنها فقط تتزوجه لأجل ثروته. وكان في ذلك النهاية العاصفة. كل امرأة عرفها بعد ذلك، جعلها تفهم منذ البداية أنه لا يفكر في الزواج. حتى كارمن، رغم رغبتها في تغيير القاعدة.

لم يكن لديه سبب يجعله يرى موللي مختلفة عن غيرها. بل العكس،

فالفرق بينهما أكبر مما كان عليه بينه وبين النساء اللاتي اعتاد الخروج معهن. فهي تعيش في شقة صغيرة في الحي الصيني، وهو يعيش في «تلة نوب» كما أنها ترسم لتزيد دخلها، بينما هو لديه ثروة طائلة تسنده.

«دوني» يثق بنواياها، لكن نك يشك في عدم استغلالها للفرصة التي نزلت عليها من السماء.

سيصبر عليها ليساعد أمه، لكنه سيراقبها عن كثب.

فتح الباب فدهش وهو يرى أمه تضحك. كان اللون يكسو وجنتيها، ولمعت عيناها وهي تنظر إلى نك بسرور. كان التغيير فيها أشبه بمعجزة.

ـ تعال واستمع إلى موللي وهي تخبر كيف قامت بطلاء شقتها.

سحب كرسياً وجلس قريباً من موللي إلى حد احتكت ركبتاه بركبتيها. وعندما ابتعدت عنه قليلاً، مال نحوها ووضع ذراعه على مسند مقعدها.

كانت تبذل جهدها لتسلية أمه، لكنها الآن تشعر بانعقاد لسانها وتحسّ بأن وجوده يكاد يعصف بها.

تمتم يقول: «ظننتك ترسمين لوحات».

نظرت إليه ثم انتقلت قليلاً إلى اليسار.

ـ فعلاً، لكنني أردت أن أبعث بالإشراق إلى شقتي. كانت الجدران قاتمة كئيبة فأردتها براقة مشرقة.

ـ حدثيه عن البديل المؤقت للسقالة الذي صنعته.

نظرت موللي إلى نك مترددة. إنه لا يتصور ماذا يمكن أن تكون البدائل لأنه يستطيع أن يستخدم فرقة من الدهانين إذا أراد أن يغير أي لون.

ـ حسناً، أنت تعلم أن في بيتي علّية تحت السقف، وبهذا تعلو الجدران من ثلاث جوانب سبعة أمتار تقريباً.

أومأ بالإيجاب. لم يذهب إلى منزلها سوى تلك المرة الوحيدة، لكنه

يتذكر ذلك.

- استعرت طاولة جارتي شيلي ووضعتها مع منضدتي بجانب بعضهما البعض، ثم وضعت عليهما كرسيين عليهما لوح خشب كالجسر. ونجح ذلك تماماً.

- كان بالإمكان أن تقعي وتكسري عنقك.

- كان مزعجاً جداً نقلها كلما احتجت إلى تغيير موقعي. لكنني نجحت تماماً، ووفرت عليّ مبلغاً كبيراً. أحضرت دهّاناً كي يخمّن التكاليف، لكنها كانت أكثر مما أردت أن أدفعه بكثير.

تصورها نك على تلك السقالة المؤقتة، ثم تخيلها وقد وقعت وانهارت السقالة بالكراسي ولوح الخشب فوقها، فقال بحدة: «لا تفعلي مثل ذلك مرة أخرى».

فنظرت موللي إليه: «ماذا؟».

- هذا بالغ الخطورة، لا تفعليه مرة أخرى.

- لكنني كنت شديدة الحذر.

فقالت إيلين: «كان هذا قبل أن تعرفك يا نك. وأنا واثقة من أنها لن تحتاج إلى القيام بذلك مرة أخرى. وعلى أي حال، لن تستمر موللي في السكن هناك طويلاً. نحن لم نتناقش في عرسكما على الإطلاق. ولكن لا تدعا مرضي يؤخركما، فأنا أشعر بأنني أقوى لحظة بعد لحظة. وتحديد موعد زفافكما سيسّرع حتماً في شفائي».

حملقت موللي في نك. ماذا الآن؟ هما لا يجرؤان على تحديد موعد، بصرف النظر عما سيحدث لإيلين. ولكن كيف سيحتالان للتأجيل دون الكشف عن تمثيليتهما؟

- علينا أن ننتظر عودة والدي موللي.

- أحسنت.

تمتمت له موللي بذلك بصوت خافت من دون أن تسمعها إيلين ثم التفتت إلى المرأة: «أنا واثقة من أنك تتفهمين أنني أريد أن أتحدث معهما قبل أن نتابع هذا. لقد كان حبنا مفاجئاً صاعقاً كما تعلمين».

- لكن هذا الحب خُلق ليبقى، فأنتما مناسبان تماماً لبعضكما البعض.

* * *

عندما انتهى الغداء، طلب نك من أمه أن ترتاح ريثما يأخذ موللي إلى بيتها.

عندما وصلا إلى الطابق الأسفل من البيت، أوقفته قائلة: «ليس عليك أن تفعل ذلك. سأستدعي تاكسي».

- أريد أن أتحدث معك.

- آه... محاضرة أخرى؟

فقطب جبينه: «أنا لا ألقي محاضرات».

ابتسمت وربتت على ذراعه، شاعرة بعضلاته القوية، والحرارة التي تنبعث منه. ثم استدارت وهي تتنهد أسفاً على ما لن يكون. وتمنت لبرهة لو أن الأمور كانت مختلفة بينها وبين هذا الرجل ولو بإمكانها أن تصدق أن الرجال والنساء من مختلف الخلفيات يمكنهم أن يجدوا قواسم مشتركة.

لكن هذه لم تكن حتى مجرد محاولة للعثور على القواسم المشتركة، فقد عقدا هذه المعاهدة فقط ليساعدا امرأة مريضة على الشفاء. وبينما كانا يسرعان باتجاه المرفأ، مالت إلى الخلف في تلك السيارة الفارهة وأخذت تنظر من النافذة بكسل. لقد استمتعت بهذه الزيارة، وعرفت الكثير عن نك. كما ارتبطت بإيلين بايلي بشكل غريب.

سألها: «ما الذي تحدثتما عنه أنت وأمي؟».

- عن هذا وذاك. وبالأخص عن طفولتك، ظناً منها أنني أريد أن

أعرف كل شيء عنك. يبدو أنها تلوم نفسها بعض الشيء، فقد كانت أكثر اهتماماً بأثاثها وتحفها من أن تدع صبياً صغيراً يركض ويعبث في أنحاء البيت.

ـ كانت أماً ممتازة.

ـ وكانت تتمنى لو أنجبت المزيد من الأولاد. فتاة صغيرة حتماً.

ألقى نظرة باتجاهها: «لم أعرف ذلك قط. كنت أظن أنها تريد ولداً واحداً».

ـ قالت إنها هي ووالدك كانا يتمنيان المزيد، لكن هذا لم يحدث. كما أنها افتقدت أباك إلى حد بالغ. مات منذ عشر سنوات وما زالت تشعر بالوحدة من دونه، وهذا محزن.

ـ لديها أصدقاء، وأعمال خيرية.

ـ نك، لقد كانا متزوجين مدة سبعة وعشرين عاماً. وكان هو حب حياتها. ومن الطبيعي أن تفتقده وربما ستمضي حياتها في ذلك.

ـ كان بإمكانها أن تتزوج مرة أخرى.

ـ لو وجدت من تحبه كما أحبت أباك، لربما فعلت. ألا تظن ذلك؟

ـ رأيي أن ما يسمونه حباً هو شيء مبالغ في أهميته. والرجال والنساء يتزوجون لأسباب مختلفة. فإذا افتُتِنوا أو أُعجبوا بأحدهم، سمّوا ذلك حباً.

ـ أظنكَ ستحصل حتماً على جائزة السنة لأكثر الرجال سخرية. ولكن كونك لا تؤمن بالحب، لا يعني أن أمك لا تؤمن به.

ـ وأنت؟ هل تؤمنين بالحب؟

سكتت موللي لحظة طويلة: «أنا أريد أن أؤمن».

قالت هذا بحزن، لكنها والحق يقال، تساءلت إن كانت ستعثر عليه يوماً ما. كان الافتتان صعباً بما يكفي، فهل ستميّز حب حياتها إذا هي

صادفته يوماً؟

ربما كل ما في الأمر أنها لم تصادف بعد الرجل المناسب. كان أبواها سعيدين وكانت إيلين سعيدة مع زوجها، أمّا موللي التي بلغت الثامنة والعشرين من العمر، فقد ظنت مرتين أنها وجدت الرجل الذي يمكنها أن تتخذه شريكاً لحياتها، وبعد كل خيبة أمل كان غشاء الوهم ينزاح عن عينيها. ربما كانت تتوقع أكثر مما ينبغي.

عندما توقف نك قرب بيتها، مدت يدها لتفتح باب السيارة لكنه وضع يده على ذراعها يعترضها: «سآتي لآخذك الليلة في السابعة إلا ربعاً».

ـ سأكون جاهزة.

ـ سأفتح أنا الباب.

ونزل من مقعده ودار حول السيارة يفتح لها الباب فقالت: «إلى اللقاء».

وعندما توجهت نحو بيتها، قال: «موللي؟».

ـ ماذا؟

ـ سيكون في الحفلة كثير من الناس الليلة ينظرون إلينا ليتأكدوا من أن خطبتنا حقيقية. بما في ذلك كارمن.

فقالت ضاحكة: «لا تخف. سأرتدي أكثر ملابسي إثارة والتصق بك كما تلتصق صلصة الخردل بالسجق».

ابتسم بخفة وهز رأسه: «يا له من تشبيه فاتن».

فلوّحت له بيدها وابتعدت، بينما وقف ينظر إليها. كانت تبدو مثيرة في بنطلون الجينز، فكيف ستكون في الثوب المثير؟ وشعر تقريباً بالخوف من أن يعرف ذلك.

***

ـ حدثيني عن هذا الرجل.

سألتها شيلي بعد أن أنهت لها تصفيف شعرها. وكانت تنظر إلى صديقتها في المرآة: «آخر ما أتذكره هو أنك كنت ستتظاهرين بأنك مخطوبة، وتتباهين أمام جاستين بخاتم جدتك، جائلة في أنحاء القاعة، وبعد ذلك رأيت وجهك في كل الصحف مع خطيبك المزعوم، والآن تذهبين إلى مكان حيث ربما سيراك كل شخص في سان فرانسيسكو، وتخبرينني بأنها مجرد تمثيلية».

فاعترضت موللي: «إنها ليست تمثيلية».

ولمست خصلة من شعرها بمرح: «هذه تبدو عظيمة. شكراً يا شيلي».

ثم سارت نحو سريرها وتناولت ثوبها تريها إياه وتسألها: «إنه أسود. لكنه ينفع للمناسبة، أليس كذلك؟».

ـ أنا أتذكر متى اشتريته. أنت تحاولين أن تجريي تأثيره على هذا الرجل، أليس كذلك؟ سيذهله.

فقالت موللي ضاحكة: «لا أظن ذلك. ابقي هنا وسترينه عندما يحضر. إنه من النوع الذي يعتبر أن العمل هو كل شيء».

ـ لهذا السبب هو قمة في الثراء.

نظرت موللي إلى شيلي: «إنه غني، أعلم ذلك، ولكن: (قمة في الثراء؟)».

ـ هيه... إنه صاحب «فنادق ماغيللان».

ـ وهذا ليس أمراً بسيطاً. قد لا يكون من أغنى أغنياء أميركا، لكنه يلعب بالمال ويتمرغ به.

ـ دوماً كانت أمي تقول إن الفتاة تقع في غرام الغني بنفس السهولة التي تقع فيها في غرام الفقير.

ـ لكنني لست مغرمة بأحد.

قالت موللي هذا وهي تلبس الثوب. كان أنيقاً ملائماً ومحاكاً بخيوط فضية متألقة ما جعله يجذب النظر كما يجذب اللهب الفراشة. كان قصيراً مكشوفاً عند الذراعين، والجزء الأعلى منه محكم على جسدها. من حسن الحظ أنها تذهب إلى عملها سيراً على الأقدام فبقي وزنها كما كان لأن هذا الثوب يبرز أي زيادة في الوزن. انتعلت حذاءً عالي الكعب، مع أنها تعلم أن نك سيبقى أطول منها بحوالى عشرين سنتمتراً، وجاءتها شيلي بأحمر شفاه صارخ: «هذا يناسب ملابسك ووضعك أيضاً».

ـ وضعي؟

ـ نعم، وضعك هذه الليلة، لأن عليك أن تنافسي كارمن، ومن يعلم من أيضاً في هذه الحفلة؟

ـ أنا لن أتنافس مع أحد، فهذه خطبة زائفة، فإذا أراد نك أن يتركني من أجل امرأة أخرى، فهذا لا يهمني.

لكنها عندما ازدادت اقتراباً من المرأة لكي تصبغ شفتيها، شعرت بوخزة من الغيرة. أزعجها، على الرغم منها، أنه قد يميل إلى امرأة أخرى. وكان هذا حماقة بالغة منها. لقد عقدا خطبة لأجل مصلحة، وهي لن تدوم. وستكون معتوهة لو ظنت لحظة واحدة أن نك بايلي يمكن أن ينجذب إلى امرأة مثلها!

* * *

٧ ـ رقص الأقنعة

عند السابعة إلا ربعاً بالضبط قُرع جرس الباب.

ـ رجال الأعمال دقيقون في مواعيدهم كما هي حالهم بالنسبة إلى أي شيء آخر.

تمتمت موللي بذلك وهي تسير إلى الباب لتفتحه، وعندما رأت نك حبست أنفاسها. ظهر ذلك اليوم، بدا لها وسيماً بما يكفي لتعود إليها شهيتها للطعام. أما الآن، فهي تعلم لماذا تريد النساء أن يرتدي الرجال ملابس السهرة. إنها تسبغ عليهم روعة خلابة. سألها وهو يشملها بنظراته: «جاهزة؟».

ظنت نفسها قد رأت شعلة من اللهب في عينيه.

ـ تقريباً، أدخل وتعرف إلى جارتي شيلي.

قامت بواجب التعارف بسرعة، شاعرة بالتسلية لرؤية الحذر على وجه نك والارتياب على وجه شيلي.

سألها نك: «كانت الخطبة الزائفة فكرتك، أليس كذلك؟».

فأومأت: «لكنك أحدثت تغييراً. لم يكن في خطتي رجل».

ـ ما كان الأمر سينجح.

ـ وهل هذا سينجح؟ ماذا لو أن أحداً اكتشف الخدعة.

ـ ما دام الأمر في سبيل شفاء أمي فلا ضرر في ذلك.

فقالت موللي وهي تتناول معطفاً خفيفاً: «المعذرة، ليس لديّ ما أقوله في هذا الأمر».

فقال نك لها بجمود: «هل نذهب؟».

قالت شيلي: «استمتعا بوقتكما. ولا تنسي يا موللي ما قالته أمي».

ثم خرجت قبلهما ودخلت باباً في آخر الممشى.

عندما اطمأنت موللي إلى أن بابها مقفل، سألها نك عن آخر ما قالته شيلي.

تصورت موللي ملامحه إذا هي أخبرته فقالت: «لا شيء، مجرد نصيحة أم. هل هناك شيء عليّ أن أعرفه قبل أن نصل إلى هناك أم أن عليّ أن أبقى هاربة طوال الليل؟».

ـ سنجلس مع بعض الأصدقاء، آل بيترسن وآل هاريل. فأنا أعرف الرجلين منذ سنوات. زوجة تيم بيترسن هي زوجته الثانية وقد تزوجا منذ أشهر فقط. أما بيتسي وباكستر هاريل فقد تزوجا منذ أيام الجامعة.

ـ هل عرفتهما من الجامعة؟

كانا قد وصلا إلى السيارة ففتح لها بابها لتصعد. وارتجفت قليلاً في برودة الليل فقد كان الضباب يغطي سان فرانسيسكو. وكانت أضواء الليل تبدو متألقة، وجلس نك وراء المقود وما لبث أن اتجه بالسيارة إلى فندق «ريفال» حيث تقام الحفلة الخيرية الراقصة.

قالت تذكره: «كنا نتحدث عن أصدقائك وهل هما من أيام الجامعة».

ـ لا، بل منذ الطفولة.

ـ هل كانا يعيشان في جوار منزلكم؟

ـ لا، بل كنا نرى بعضنا البعض في مدرسة السيدة بورتر للرقص التي كانت أمي تصرّ على أن أحضرها، كما يفعل الآخرون.

فتمتمت: «مدرسة للرقص؟».

- إيّاك أن تتفوهي بكلمة عن هذا أمام أحد!

فضحكت برقة: «سأتذكر هذا. إذاً صديقاك القديمان متزوجان بينما أنت عازب؟».

- نعم.

- ولم تتزوج قط؟

- لا.

- ولن تتزوج على الإطلاق؟

بقي لحظة صامتاً: «أتوقع ذلك يوماً ما. وأنت؟».

- نعم، إذا وجدت الرجل المناسب.

- وكيف تعرفين بأنه مناسب؟

- أرجو أن أعرف توأم روحي عندما يظهر، إذا أردت زواجاً طويل الأمد عليّ أن أحرص ألاّ أقترف أي غلطة.

- لكن الطلاق سهل.

- ليس بالنسبة إليّ. أنا سأتزوج بنيّة البقاء كذلك حتى أموت، كوالدتي ووالديك. أمك مازالت تحب أباك، كما تعلم.

لم يجب نك. وأدركت موللي أن حركة السير ليست السبب، فقد كانت خفيفة. وسرعان ما ركنا السيارة في موقف الفندق.

خرجت من السيارة وانتظرت نك الذي أمسك بذراعها ثم دخلا الفندق. من الآن فصاعداً عليها أن تتذكر أنها خطيبة رجل بالغ الأهمية، وهي ترجو أن تتمكن من تأدية دورها ببراعة بحيث تخدع العالم، وخصوصاً كارمن هيرناندز.

وجدا مائدتهما بسهولة وسرعان ما تعرفت موللي إلى صديقي نك القديمين. أحبتهما وكذلك انسجمت مع زوجتيهما. وكانت أنيسا، زوجة

تيم الثانية، أصغر من الآخرين بسنوات، حتى أنها أصغر من موللي. وكانت جميلة ودوداً وتبدو، كما تكهنت موللي، في الثالثة والعشرين من العمر. هل كان تيم قد اجتاز أزمة منتصف العمر فاقتنى عروساً صغيرة دليلاً على انتصاره؟ ونظرت إلى نك. ربما انتظار الشريك المناسب هو أكثر عقلانية، فهي لا تريد أبداً أن تحطم قلبها بالطلاق.

بعد تعارفهما، هي وتيم، قال هذا: «ليس من عادة نك أن يفاجئنا، لكنه فعل ذلك الآن بالنسبة إليك. آخر مرة رأيته فيها كان يسير مع...».

وسكت فجأة ونظر إلى نك بما يشبه الذعر. فقال نك بسهولة: «كارمن! لا تخف، لأن موللي تعرف كل شيء عن كارمن».

مالت نحوه وابتسمت وهي تقول هامسة بإغراء: «كل شيء عنها؟».

ضحك الآخرون، واشتبكت عينا نك بعينيها. وللحظة، شعرت موللي بأنهما وحدهما. ارتفعت يده، وكأنه لم يستطع أن يقاوم، ولامس خدها وأجاب: «كل الأشياء المهمة».

فقال باكستر: «آه، آه، لقد فتنته منذ الآن».

فقال نك وعيناه لا تفارقان عينيها: «بل سحرته».

كادت موللي تصدّقه. حتماً عندما يقع في غرام امرأة سيخلص لها طوال حياتها. يا لها من امرأة محظوظة!

ابتدأت الموسيقى، فنهض نك ومدّ يده إلى موللي: «هل نرقص؟».

اعترض الآخرون قائلين إنهم يريدون أن يتعرفوا إلى موللي بشكل أفضل، لكنه ابتسم لهم ثم أخذها بيدها إلى حلبة الرقص. وقالت موللي وهو يأخذها بين ذراعيه: «في المرة التالية سأخبرهم بكل شيء مسبقاً. فأنا أشعر وكأن عليّ أن أشرح قصة حياتي باستمرار».

قادها في الرقص بانسجام تام وكانا يتحركان على الأنغام بخبرة بالغة، فقالت: «كلية الرقص فعلت فعلها حتماً».

- التساؤل سيدوم تسعة أيام وبعد ذلك هذه الخطوبة سيطويها النسيان. لو أنني لم أوافق من قبل على الحضور، لبقينا بعيدين. لكن القدوم من دونك كان سيثير الأقاويل في صفحة المحليات وهذا ستلحظه أمي على الفور.

- كانت تبدو أحسن اليوم.

- هذا صحيح وهذا هو سبب استمرارنا معاً.

- مازلت أظن أننا إذا أخبرناها فستصاب بصدمة.

توقفت الموسيقى وعاد الاثنان إلى مائدتهما. وعندما اقتربا، رأت موللي كارمن جالسة مكانها هي. تنفست بعمق استعداداً لمواجهة أخرى مع (القنبلة الإسبانية) وقالت له: «صديقتك عنيدة، وأنا أشهد لها بذلك».

شعرت به يتوقف لحظة وقد بدا عليه الغضب تقريباً: «هذا أكثر من مجرد العناد».

- مرحباً، يا حبيبي.

قالت له كارمن هذا وهي تبتسم بغرور. ونظرت إلى الآخرين حول المائدة متباهية بالأعين المنصبة عليها.

قال لها نك: «لا أعتقد أن هذه مائدتك».

- وأنا لا أعتقد بأنك مخطوب. إن ما يعنيه الواحد منا للآخر هو أكبر من أن يجعلك تغرق بحب امرأة أخرى خلال الأسابيع القليلة التي افترقنا فيها. إذا كنت تحاول استثارة غيرتي، فأنا أعترف بأنك نجحت في ذلك. والآن، تخلّص منها.

فقال تيم بنعومة: «آه، يا إلهي».

وقالت موللي وهي تمسك بذراعه، وتضغط بصدرها عليه: «آه، يا حبيبي، لا تصغ إليها. فأنا أحبك وقد خُلقنا لبعضنا البعض فلا تدعها تأخذك مني، يا حبيبي. لا أحتمل الحياة من دونك!».

نظر إليها وكأنها فقدت صوابها، ثم إذا به يأخذها بين ذراعيه ويعانقها بشدة، حتى ذابت عظامها وأحسّت بالعالم بأسره يتلاشى من حولها، لدرجة أنها نسيت مسألة التمثيلية ولم تشعر سوى بقوة هذا الرجل، وجاذبيته، وإثارته التي لا يمكن لها أن تنكرها.

استمرت العناق طويلاً طويلاً، وأخيراً ابتدأ يتضح لها العالم الخارجي، فتأوهت معترضة بصوت ناعم.

وقف نك وهو يبتعد عنها ببطء، وعيناه عليها: «هل يقنعكم هذا بأنني مأسور تماماً؟».

مضت لحظة شعرت موللي فيها بأنها أسيرة شعورين مختلفين: الأول هو أن نك يحبها حقاً وقد أرى العالم ذلك، والثاني خطتهما الموضوعة لخداع الجميع بأي طريقة كانت.

قالت بتسي: «أنا مقتنعة».

وقالت أنيسا: «وأنا أيضاً. أنت لم تعانقني قط بهذا الشكل يا تيم».

- لا أظن امرأة في العالم تلقت عناقاً بهذه الطريقة، يا حبيبتي.

حملقت فيهم كارمن، ثم انتفضت واقفة وانطلقت مبتعدة كالعاصفة.

صفق باكستر إليه وهو يقول: «هذا حسن للغاية. بعض الناس لا يفهمون إلا إذا تلقوا ضربة على الرأس».

جلستِ موللي وحاولت أن تشترك معهم في مداعباتهم ومزاحهم، لكن عقلها كان مركزاً على ذلك العناق، وتساءلت متى تهدأ خفقات قلبها؟ لم تستطع أن تمنع نفسها من النظر إلى نك خلسة من تحت أجفانها. كان يتأملها، وابتسمت راجية أن تبدو حقاً تلك الخطيبة الشغوف التي يريدها أن تمثلها.

ما كانت تريده الآن هو العودة إلى شقتها والابتعاد عن الأعين الفضولية وحقل الألغام الذي يتخلل الأحاديث... وبالأخص الابتعاد عن

إغراء نك بابلي. كانت تعلم أنها هي التي طلبت منه أن يتصرف كالمفتون، ولكن هل كان مضطراً إلى القيام بذلك بهذا الشكل الرائع؟ لن يكون بإمكانه أن يبعد نفسه عنها الآن بعد أن أقنع الجميع بأنهما غارقان في الحب. وإذا لم تتحكّم في مشاعرها، فسوف تفقد عقلها من دون شَك وبالتالي قلبها.

سألتها أنيسا: «ما هو مجال عملك يا موللي؟».

ـ أنا أعمل كمصمّمة فنون تخطيطية في شركة «زنتك».

أجابت موللي بذلك مسرورة لتحويل ذهنها عن نك. فسألها باكستر: «زنتك؟ أليست هي إحدى الشركات التقنية القائمة في منطقة باي؟».

فأومأت بالإيجاب.

ـ كيف تعارفتما إذن، أنت ونك؟

ـ عرّفنا دوني ببعضنا البعض.

قال نك هذا وذراعه ممتدة على ظهر كرسي موللي وأصابعه ترسم خطوطاً على كتفها.

لم تستطع موللي أن تركز على الحديث. فقد كان ذهنها منصرفاً إلى ملامسات نك وما تثيره فيها من أحاسيس. أليس لديه فكرة عما يفعله بها؟

سأله تيم: «متى موعد الزفاف؟».

فقالت موللي بسرعة: «لم نقرّر بعد. والداي في رحلة بحرية ونريد أن ننتظر عودتهما قبل أن نقرر شيئاً».

وسأل باكستر نك: «كيف حال أمك؟».

ـ إنها تتماثل للشفاء. شكراً.

فسألته بيتسي بابتسامة عريضة: «وهل هي سعيدة لأنك ستتزوج؟ أراهن على أنها متلهفة لتصبح جدة».

نظرت موللي إلى نك وكادت تضحك لملامحه المذهولة. أكثر الناس

يتوقعون أن ينجبوا أولاداً بعد الزواج، ولكن يبدو أن هذه الفكرة لم تخطر ببال نك قط.

فأجاب: «لم تقل هذا».

ابتدأ الندل يشقون طريقهم خلال الموائد، يقدمون الطعام. وما لبثت الموسيقى أن تغيّرت فأصبحت ناعمة. وفي نهاية الوجبة أعلن عن مجموع التبرعات التي جمعت، وعندما انتهى التصفيق عزفت الموسيقى مرة أخرى فأمسك نك بيد موللي وأخذها إلى حلبة الرقص.

ـ الأمر يسير بشكل حسن، أليس كذلك؟

قالت له ذلك وهما يرقصان على أنغام الموسيقى الحالمة: «الجميع يظن أنني أعبدك. أنا ممثلة عظيمة حقاً وربما كان عليّ أن أحترف التمثيل».

نظر إليها ثم شدّد قليلاً من احتضانها: «لا تغترّي بنفسك، فأنا أعرف هؤلاء الناس منذ وقت طويل».

ـ وما هو رأيك؟

ـ لست واثقاً من أنهم اقتنعوا.

نظرت إلى المائدة، لكنها كانت خالية فقد ذهب الآخرون هم أيضاً إلى الرقص: «وكيف يمكنك أن تقول ذلك؟ لقد ظنوا ما بيننا حباً عاصفاً».

ـ ربما صدقوا هذا هذه الليلة، ولكن عدم معرفتك بشقتي عندما ذكروا المشهد الذي تطل عليه، أثار ارتياب تيم.

ـ ولكن، إذا عرفوا الحقيقة، لن يخبروا أمك، أليس كذلك؟

ـ بالطبع لن يذهب أحد إلى بيتها يقرع الباب ليخبرها بأنني لست مخطوباً، لكن الأخبار تنتشر. انظري إلى الوضع الذي نحن فيه.

ـ حسناً، لم يكن لديّ فكرة عن أن حفلة «زنتك» سيكون فيها مصورو

صحف، أو سيكون لديهم أي اهتمام بخطوبتي الزائفة. كان على ابن خالتك أن يخبرني بشخصيتك الحقيقية بدلاً من أن يعقد الاتفاقية.

- ربما كان يظن أنك سبق وعرفت ذلك.

- هل عدنا إلى ذلك مرة أخرى؟ صدقني يا نك بأنني لا أدري كيف تسير بك الأيام بكل هذه الشكوك التي تساورك.

وتبددت بهجة الرقص: «أريد أن أذهب إلى بيتي. لقد جئنا، ورآنا الناس، وأهانتنا عشيقتك السابقة، ورأى أصدقاؤك عرض حبنا العميق الراسخ، فما الذي يبقينا هنا؟».

فشدّها إليه: «ولماذا العجلة؟ ألا تحبين الرقص؟».

- مع شخص يعجبني.

- ألست من تلك الفئة؟

هزت كتفيها، وفجأة ابتسمت في عينيه مباشرة وهمست بحيث يسمعها وحده: «كارمن إلى يساري».

وبعد ذلك بلحظة قالت بصوت مرتفع: «يمكننا أن نذهب إلى شقتي يا حبيبي».

أدرك أنها قالت هذا لتسمعها كارمن التي لابد أنها تقترب منهما. لكنه أجفل وهو يدرك أنه يريد فعلاً الذهاب إلى شقة موللي. لقد تعب من هذه الليلة ومن التعامل مع الأفكار والمناورات... شقة موللي هادئة طبيعية غير متكلفة.

- فلنذهب إذن ونودعهم.

وبعد دقائق كانا في سيارة نك متجهين إلى الحي الصيني. استرخت موللي في مقعدها وهي لا تزال تترنم بآخر أغنية: «أمضينا جميعاً وقتاً طيباً».

سألها: «تبدين مدهوشة. أما كنتِ تتوقعين ذلك؟».

- لا، كل ذلك في الحقيقة لم أتعوّده. كنت خائفة من أن أقترف غلطة شنيعة ويشفق عليك جميع أصدقائك لخطبتك لي.

- أحقاً؟

ملأه ذلك بالفضول. لم يستطع أن يتصور أياً من النساء اللاتي عرفهن تفكر بهذا الشكل، أو تعترف به بصوت مرتفع. كلهن كنّ متحمسات للظهور معه، وآخر ما كن يفكرن فيه هو آراء أصدقائه فيهن.

عندما بقيت صامتة خطر بباله مدى الفضول الذي تثيره موللي في نفسه. ما زال غير واثق من أن تعارفهما كان مصادفة تماماً، لكنها لم تندفع لتستحوذ على انتباهه كما هو المفروض. كانت واثقة من نفسها بهدوء. تبدو راضية بحياتها كما هي.

وفي الحقيقة، لم تطلب منه شيئاً قط.

قطب نك حاجبيه... هذا غير معقول! فالجميع يريد منه شيئاً. لكنها رفضت حتى تعويضها عن إلغائها قضاء إجازة الأسبوع في المنتجع.

للمرة الأولى ابتدأ نك يتساءل عما إذا كانت تصرفات موللي حقيقية وليست تمثيلاً. هل يوجد نساء لا يخرجن مع رجل لهدف حقيقي؟

عندما أوقف السيارة، قالت له: «أظنك مستعجلاً للذهب إلى بيتك؟».

- ادعيني إلى فنجان قهوة.

فنظرت إليه بدهشة.

- قهوة فقط؟

نزل يفتح لها باب السيارة. لم يكن لديه موعد هذه الليلة، وموللي تبدو حلم كل رجل في هذا الثوب وهذه التسريحة. كان شعرها يتوسل أن يُطلق سبيله لينهار على كتفيها، وهاتان الكتفان المغطاتان الآن بمعطفها، كانتا تجذبانه طوال السهرة.

عندما دخلا الشقة، خلعت معطفها وألقت به على كرسي، ثم سارت إلى المطبخ. فك ربطة عنقه وخلع سترته. لقد أصبح الجوّ حاراً فجأة.

تبعها واتكأ على الطاولة مشبكاً ذراعيه على صدره بينما كانت هي تعدّ القهوة، وكانت تنظر إليه من وقت لآخر. هل تشعر نحوه بنفس انجذابه نحوها؟ أم أنها لا تفكر إلا في التخلص منه؟

ـ يمكنك أن تنتظر في غرفة الجلوس.

ـ أتحاولين التخلص مني؟

واجهته قائلة: «نعم، فأنت توتر أعصابي».

تقدم منها وهي تتراجع حتى اصطدمت بحوض الغسيل فوضع يداً على كل جانب منها ثم مال إلى الأمام: «حقاً؟».

بسطت راحتها على صدره، فانتظر إن كانت ستدفعه عنها لكنها لم تفعل.

وببطء، مال إلى الأمام ليعانقها. لقد اشتاق إلى ضمها إليه.

ـ هذه ليست فكرة جيدة.

وتأوهت برقة وهي تغمض عينيها. كان عناقاً، رقيقاً، عذباً حنوناً.

قاطعهما أزيز غليان إبريق الماء، فتركها ببطء رغم رغبته بالمزيد.

قالت: «اذهب إلى غرفة الجلوس وسأحضر القهوة إلى هناك».

أومأ وهو يغادر المطبخ الصغير. وعندما دخل الغرفة تذكر ما أخبرت به أمه عن طلاتها. كانت الجدران عالية. إذا أرادت أن تفعل هذه مرة أخرى، فهو يرجو أن تستخدم دهّاناً.

كان يفصل غرفة النوم عن غرفة الجلوس نصف جدار. أراد أن يصعد السلم ليرى غرفتها. هل لديها سرير مزدوج أم مفرد؟

صرف تلك الأفكار من ذهنه وأخذ يتأمل اللوحة الموضوعة بجانب النافذة. وتكهن بأنها تجسّد «حديقة الشاي اليابانية» في الصباح الباكر

وكان الضباب يسبغ على المشهد سكوناً وصفاء رائعين. لم يكن يعلم أنها موهوبة بهذا الشكل.

سألته: «هل تضع السكر في قهوتك؟».

فالتفت دون أن يبتعد عن اللوحة: «لا. هل لديك شارٍ لهذه اللوحة؟».

سارت إليه تناوله الفنجان ثم هزت رأسها نفياً.

ـ من يدير أعمالك؟

ـ لديّ بعض اللوحات في معرضين للفنون. معرض «بوكارد» في السوق ومعرض «صامويل» عند المرفأ.

عاد ينظر إلى اللوحة: «سأشتري هذه».

رشفت موللي الشاي وتأملت الصورة، ثم نظرت إلى نك بفضول: «لماذا؟».

ـ ماذا تعنين بقولك لماذا؟ أليست للبيع؟

ـ أظنني مدهوشة فقط، هذا كل شيء.

نظر إلى الصور المعلّقة على الجدران، متأملاً كلاً منها. كانت الأولى تمثل مشهداً بحرياً فيه تحدٍّ وجرأة، وكان نك يشعر بمذاق الملح في الهواء. واللوحة التي بجانب الكرسي والمصباح كانت تمثل حديقة في الريف الإنكليزي فيها أزهار كثيرة وشاعرية بحيث تعجب النساء في كل مكان. أما الثالثة وهي قرب خزانة الكتب فقد كانت تمثل ناحية أخرى من حديقة «البوابة الذهبية» العامة، حيث الأرض وفيرة العشب وتتنزه فيها الأسر ويلعب الأولاد.

التفت ينظر إليها: «لماذا تعملين في شركة «زنتك» طالما بإمكانك أن تكوّني ثروة من الرسم؟».

فقالت: «زنتك» هي الأساس».

- هل ستبيعينني اللوحة؟

- بكل تأكيد.

ذكرت له ثمناً رآه زهيداً بشكل سخيف، لكنه لم يساومها لرفع الثمن. إذا كان هذا هو الثمن الذي تطلبه، فليكن!

جلست على الأريكة ثانيةً ساقيها تحتها. ووضعت كوب قهوتها على الطاولة ثم نظرت إليه: «لقد قرأت الورقة التي كتبها دوني عنك قبل أن أذهب لزيارة أمك، من باب الاحتياط. لكنه لم يدوّن أي هواية. هل تعمل طوال الوقت؟».

جلس بجانبها وكان من القرب منها بحيث توترت أعصابها. وضع فنجانه بجانب فنجانها ثم استند إلى الخلف على الوسائد: «ليس لدي وقت للهوايات، إلا إذا اعتبرت الركض هواية. إنني أحاول أن أفعل ذلك بضع ساعات في الأسبوع، لكن فنادق ماغيللان تأخذ معظم وقتي. ليس الفندق الذي هنا فقط، ولكن كل تلك الممتدة على طول الساحل. أحياناً أظن نفسي أعيش في طائرة».

- هل تقرأ أثناء وجودك في الطائرة؟

- بكل تأكيد. التقارير، الأوراق، تحليلات السوق. لماذا تهتمين بذلك؟

- من باب الاحتياط فقط.

- الاحتياط؟

- ستسألني أمك عن كل شيء أثناء وجودي معها. وسوف تستغرب إذا كنت لا أعرف شيئاً عن حياتك. أخبرتني عن نشأتك لكنها لم تخبرني عن مدرسة السيدة بورتر للرقص.

- تلك معلومات ليست للتداول، كما أن عليك ألاّ تنشريها.

ضحكت فضاع عقل نك، فمدّ يده إليها، وسرّه أن جاءته طائعة.

لكنها لم تمنحه سوى عناقاً سريعاً، ثم تراجعت عنه، ملامسةً خده بخفة وهي تنهض: «عليك أن تخرج».

فوقف بجانبها، وهو يحيط عنقها بيده يدنيها منه: «أو أبقى».

لكنها بقيت حازمة: «لا. لا يمكنك أن تبقى يا نك. إنها خطبة زائفة اتفقنا عليها فقط لمساعدة أمك على الشفاء، وأنا لست من تلك الفتيات العابثات».

- وهل تظنين أنني أعبث مع أي امرأة؟

- يمكن لكارمن أن تجيب على هذا السؤال.

هزها برفق ثم تركها: «ربما كان لديّ علاقة أو اثنتان في الماضي. هل تتوقعين مني، في هذا العمر، أن أكون راهباً؟».

- أنا لا أتوقع شيئاً منك، ماعدا أن تغادر بيتي الآن.

سألها وهو يتناول سترته: «ماذا ستفعلين غداً؟».

- بعض الأعمال المنزلية. لماذا؟

- أعمال منزلية؟

- الغسيل والتنظيف وما شابه. أي شيء مفروض القيام به.

فقال: «امضي النهار معي. إذا سألتني أمي فأنت لا تريدينني أن أكذب. أليس كذلك؟».

فضحكت: «كل هذه التمثيلية هي كذب في كذب. ماذا لو أضفت كذبة جديدة؟».

- أمضي النهار معي.

- ماذا ستفعل؟

كانت تعلم أنه لا ينبغي لها ذلك، لكن الإغراء كان قوياً. إنها تريد أن تمضي معه مزيداً من الوقت قبل أن يفسخا خطبتهما. وإذا استمر شفاء أمه بهذه السرعة، فسيكون عليهما الانفصال قريباً جداً، قبل عودة والديها من

www.liilromancia.com

رحلتهما بوقت طويل.

ـ ما تشائين.

ـ آه، هذا شيء مغرٍ للغاية.

فأضاف بسرعة: «إنما بالمعقول».

ـ منذ متى لم تركب «ترام»؟

ـ ماذا؟

فابتسمت: «حسناً، هذه هي الاتفاقية. نتقابل في أول شارع لومبارد، ثم نسير متوجهين إلى المرفأ. يمكننا أن نتسكع هناك فترة، ثم نركب «الترام» إلى «المدينة الصينية» حيث نتناول الغداء. هل فريق «العمالقة» يلعب غداً؟ يمكننا أن نذهب إلى الملعب ونتفرّج على المباراة. أنا لست مجنونة بكرة القدم لكنني لا أمانع في التفرج على «البيزبول». سيكون ذلك رائعاً غداً».

ـ يبدو وكأنها نزهة سياحية تتضمن كل الأماكن الجديرة بالمشاهدة في المدينة.

ـ لماذا يحصل السياح وحدهم على كل المتع؟ إننا نعيش هنا وعلينا أن نتمتع بكل تلك المشاهد الممتعة.

ـ الساعة العاشرة؟

ـ أول شارع لومبارد.

أومأ برأسه ثم خرج.

حدقت موللي في الباب لحظة طويلة وقد أذهلتها موافقته. لم تكن تتوقع ذلك. هل سيستمتع بيومه؟

تمنت ذلك. وبالنسبة إليها، يمكنها، على الأقل، أن تختزن ذكرى هذه النزهة معه لتستمتع بذكراها في سنواتها القادمة.

* * *

٨ - القرصان

في العاشرة بالضبط، وصلت موللي إلى أول شارع لومبارد، حيث كانت الأشجار في أوج إزهارها. وألوانها الزرقاء والوردية تزيد المشاهد الجميلة جمالاً.

كانت قد ربطت شعرها إلى الخلف لتبعده عن وجهها إزاء هواء البحر. وكانت ترتدي بنطلون جينز وفوقه كنزة ناعمة، وتساءلت عما سيلبس نك. ربما سروال الركض ذاك!

ضحت لهذه الفكرة، وأخذت تنظر إلى السيارات التي كانت تمرّ بقربها.

نظرت إلى ساعتها. كانت تظن أن نك دقيق دوماً في مواعيده، فقد كانت الساعة اجتازت العاشرة بدقيقتين.

وقال من خلفها: «ركن السيارة هو معاناة شاقة في هذا المكان».

وعندما التفتت، انحنى نك يعانقها وكأن ذلك شيء عادي للغاية.

ـ أنا أركب «الترام» وهذا يجنبني متاعب توقيف السيارة.

ـ ألم يكن لديك يوماً سيارة؟

فهزت رأسها: «ولماذا أزعج نفسي طالما أن المواصلات حولي سهلة للغاية؟ أأنت جاهز؟».

ـ هيا بنا.

وشبّك أصابعه بأصابعها ثم ابتدآ نهار الأحد معاً.

www.elromancia.com

أمسكت بيده مستمتعة بالتظاهر بأنهما خطيبان وأنها تخرج معه الآن لتكوين ذكريات سعيدة، ومستمتعة بقضاء النهار معاً.

لم يحاول جاستين قط أن يبذل جهداً لأجلها، إلا إذا ألحّت هي بطلب شيء. كان كل وقتهما مكرساً لأجله هو. كيف أقنعت نفسها بأنها تشعر بأي شيء نحو ذلك الرجل؟

ـ أنت لم تعترض حين اقترحت عليك الذهاب إلى مطعم صيني لتناول الغداء. هل تحب ذلك النوع من الطعام؟

ـ أنسيتِ أن طاهيتنا صينية؟ إنها تعمل عند أمي منذ سنوات وكثيراً ما تطهي لنا طعاماً صينياً. عندما كنت صغيراً كنت أحب أن أمضي وقت العصر في المطبخ أراقبها وهي تطهي وكانت دوماً تشركني معها في اختيار الطعام وهكذا كنت أبدأ العشاء باكراً.

ـ أنا أحبه أيضاً، وبإمكاني أن أتغدى طعاماً صينياً يومياً إذا استطعت. لكن معظم زملائي في العمل لا يهتمون به إلى هذا الحد، لذا لا آكله إلاّ مرة أو اثنتين شهرياً.

ـ وهل تحبين الطعام الياباني أيضاً؟

وهكذا أخذا يتحدثان عن الطعام طوال سيرهما.

وعندما صعدا إلى التلال، بدأ الخليج الأزرق يمتد أمامهما، والأمواج المزبدة تلوح في الأفق. شعرت موللي بحرّ شديد، وكانت يدها في يد نك فلم يصعب عليها مجاراته في السير خصوصاً وهو غير مسرع في سيره.

وأخيراً وصلا إلى المرفأ حيث احتشد الكثير من الناس. وقد فتنها نك بطريقة حمايته لها إذ كان يبعدها من طريق بعض المراهقين المشاكسين أو يحميها من التدافع في ممرّ المشاة، أو يمنع، بنظرة واحدة، بائعي الشوارع من إزعاجها. وتمنت لو بإمكانها أن تفوز بتلك النظرة. وفي الواقع، تمنت لو بإمكانها أن تفوز بكل النهار، ذلك أنها كانت مستمتعة أكثر مما

كانت تتوقع بكثير. فقد كان وجودها مع نك شيئاً بالغ البهجة.

لقد ذهب ثري الفنادق المتشكك ذاك، ليحل مكانه رجل عادي راغب في تمضية يوم رائع برفقتها.

لكنها عادت فذكّرت نفسها بأن ذلك كله مجرد ادعاء.

عندما تجاوزا معرض صامويل للفنون، توقف نك ثم عاد وهو يجذب موللي معه.

ـ أليس هذا أحد المعرضين اللذين يعرضان لوحاتك؟

ـ بلى.

دهشت لتذكره ذلك. وقبل أن تتمكن من قول أي شيء، قادها معه إلى الداخل.

قال: «أريني».

أشارت إلى اليسار حيث كانت لوحاتها معروضةً وأخذت تنظر إليه وهو يتأمل كلاً منها. لم تكشف ملامحه الجامدة عن شيء فأخذت تتساءل بقلق عما إذا كانا عملها قد أعجبه أم أنه يبحث عن طريقة يظهر فيها العكس بشكل مهذب.

نظر إليها: «إنها لوحات جميلة».

ـ شكراً.

ـ أعجبتني لوحة «الزورق الشراعي» بشكل خاص.

فابتسمت: «وأنا أيضاً. بذلت محاولات كثيرة لكي أستطيع رسم البحر كما أريد».

اقترب البائع منهما سائلاً: «هل يمكنني المساعدة؟».

سحب نك محفظته من جيبه وأخرج بطاقته الخاصة وناولها إلى البائع: «أريد أن أشتري هذه اللوحات».

قال هذا مشيراً إلى لوحات موللي. طرف الرجل بعينيه وهو يقرأ

www.elromancia.com

البطاقة ثم نظر إلى نك: «كل اللوحات؟».

ـ كل لوحات موللي ماغاير.

ـ ماذا؟ هل أنت مجنون يا نك؟ لا يمكنك أن تشتري كل اللوحات.

هتف موللي بهذا معترضة ذاهلة حتى لمجرد الفكرة.

ـ لديّ ثمانية فنادق فخمة، ونحن نزينها بقطع فنية قيّمة، فلماذا لا يمكنني أن أضيف هذه اللوحات إلى مجموعتنا؟

لم تعرف موللي ماذا تقول. إنها سبع لوحات، وقد استغرق منها رسمها أكثر من سنتين. هل هو جاد في شرائها كلها لفنادقه؟

لماذا ينفق كل هذه النقود على تلك اللوحات لمجرد أنه يعرف من رسمها؟ لابد أن هناك غرضاً خفياً لا تعرفه.

نقل البائع نظراته بين الإثنين، لا يعرف ما عليه أن يفعل، وكادت تبتسم لحيرته هذه لأنه حتماً لم يحدث أن اشترى رجل منه سبع لوحات مرة واحدة... خصوصاً بأسعار وضعها صامويل نفسه عليها.

ـ سأعطيك العناوين غداً لترسل اللوحات إليها. لا أريدها كلها إلى فندق واحد. هل لشركتك أن ترسل الفاتورة؟

تنحنح الرجل: «المعذرة لحظة، لا أدري كيف سأقوم بهذا الأمر».

واتجه بسرعة إلى مؤخرة المعرض، بينما عاد نك يتأمل اللوحات.

فقالت: «أنت لست مضطراً لشرائها».

فقال بغطرسة: «طبعاً لست مضطراً. لكنني سأكون أحمق لو تجاهلت الأعمال الجيدة عندما أراها، ومن ناحية أخرى، أتوقع أن يرتفع سعرها».

شعرت موللي بانتعاش داخلي. رجل الأعمال هذا يشتري لوحاتها لأنه يظن أن سعرها سيرتفع! وكان هذا أحسن مدح لعملها تلقته على الإطلاق.

وإذا بهارولد صامويل يأتي من مؤخرة المعرض وفي أثره البائع: «آه،

يا عزيزتي موللي، ما أجمل أن أراك مرة أخرى، وكذلك يا سيد بايلي! زيارتك للمعرض شرف كبير».

ثم عاد بنظره إلى موللي بابتسامة عريضة: «وأظن عليّ أن أهنئك. لقد رأيت المقالة في الصحيفة عن خطبتك».

ابتسمت وكبحت آهة. أترى العالم كله رأى تلك المقالة؟

وقال لنك: «يسعدنا أن نرسل اللوحات إلى المكان الذي تريده، يا سيد بايلي. نرجو أن تزوّدنا بالعناوين غداً فنرسلها لك الأربعاء».

وأشار إلى البائع بأن يتقدم ثم قال له: «موللي هي الفنانة وهذا خطيبها. إنها بادرة رومانسية أن تشتري مجموعتها لتوزعها على فنادقك وأنت لن تندم على ذلك لأن موللي ترسم بشكل رائع».

فقال نك: «أظن ذلك».

ـ لكنك أخذت كل لوحاتها التي لدي.

وهز رأسه ناظراً إلى موللي: «متى يمكنني أن أتوقع المزيد؟».

فقالت وهي تنظر إلى نك: «قريباً، لأن اللوحة التي أنهيتها لتوّي قد بيعت».

فقال نك: «تلك لمجموعتي الخاصة».

تمتمت وهما يتابعان السير على رصيف المرفأ: «لا أدري ماذا أقول».

كانت تسير متجنبة السياح، ناظرة إلى طيور النورس من بعيد. ثمن اللوحات السبع الإجمالي كان مذهلاً. عندما علقها المعرض لأول مرة ظنت الثمن الذي وضعه لها باهظاً جداً. لكن نك لم يفكر حتى في المساومة. ربما هارولد كان يعرف ما يفعل!

سألها: «أتودّين أن تأتي معي لتختار المكان المناسب لتعليق اللوحات في كل فندق؟».

نظرا إليه مترددة. أتراه يمزح؟ هذا محتمل جداً. فرئيس الشركة لا يعلّق اللوحات بنفسه ولديه عشرات الموظفين لمثل هذه المهمات.

هزت كتفيها ولم تجب. فمن غير الوارد أن تدعه يعلم كم تودّ رؤية لوحاتها معلقة في ردهات فنادق «ماغيللان». ربما تذهب إلى الفندق الذي في «ساحة يونيون» لترى إن كانوا يعرضون إحدى لوحاتها.

سألها: «هل تشعرين بالجوع؟».

ـ نعم.

كانت أشعة الشمس والهواء النقي قد أثارا شهيتها. فقررا أن يسيرا إلى «الحي الصيني» وراحا يتأملان تغير المباني من الجديدة الطراز قرب المرفأ إلى القديمة منها. نظرت إلى المطعم الذي أكلا فيه منذ أيام، وهما يمران به. لقد أصبح لديها ذكريات مع نك.

وسرعان ما انعطفا إلى «الشارع الكبير» حيث كانت موللي تشعر دوماً بأنها في «تايوان». كانت الروائح المنبعثة من المطاعم شهية للغاية ومنظر النسوة اللاتي يحملن الأكياس ويسرن منحنيات تحت ثقل أحفادهن الصغار المشدودين إلى ظهورهن يظهر حضارة مختلفة للغاية.

سار أمامها إلى مطعم معروف، ثم دخلا وإذا بها تذهل وهي ترى أنها وحدهما من غير الآسيويين في المكان.

قالت عندما أجلسهما النادل على الفور:

ـ المكان رائع هنا.

ـ أشهى طعام في المدينة.

عندما طلبا من النادل ما يريدانه، اكتفت بالنظر. لو سألها عما تختاره لطلبت أن تتذوق كل الأنواع، حتى تلك التي لا تعرفها.

طلب الطعام باللغة الصينية وليس بالإشارة إلى الأطباق المعروضة. وكانت تعلم أنه تعلّم ذلك من طاهيتهم شو ـ وين.

قالت بعد أن تذوقت أول لقمة: «لذيذة، هل تطهي شو ـ وين هذا النوع؟».

ـ أحياناً. في الدعوات الكبرى.

عند ذلك رن جرس هاتفه الخليوي، فأجاب على الفور.

تناولت لقمة أخرى وأخذت تنظر حولها محاولة عدم الاستماع إلى ما يقوله رغم استحالة ذلك لقربه منها.

ـ نعم، في الحقيقة، إنها هنا.

عند ذلك نظرت إليه، فقال لها: «المكالمة لك».

فأخذت منه الهاتف: «آلو».

ـ موللي، عزيزتي. توقعت أن تكونا معاً. يسعدني أن نك يعطل نفسه عن العمل بعض الوقت ليمضيه معك. لقد استمتعت بالغداء معاً أمس.

قالت إيلين هذا بحرارة فقالت موللي: «وأنا أيضاً».

ـ ما هذه الضجة عندك؟

ـ إننا نتغدّى في المطعم.

ـ آه، توقيت مكالمتي سيء. لن أعطّلك يا عزيزتي. أردت فقط أن أعلم إذا كنت غير مشغولة مساء السبت القادم. أفكر في أن أدعو مجموعة صغيرة من أصدقاء الأسرة ليتعرفوا إليك. لن تكون حفلة خطبة رسمية، فأنا أعلم أنك تنتظرين عودة والديك. لكنني متلهفة للمباهاة بك أمام أصدقائي.

نظرت موللي إلى نك بذعر، فأخذ منها الهاتف: «ماذا هناك يا أمي؟».

ورأت موللي وجهه يسودّ: «لا، لا تفعلي ذلك. عليك أن ترتاحي لتتحسن صحتك قبل أن تستضيفي الناس».

سكت لحظة ثم تنفس بعمق: «أمي، هل يمكننا التحدث في هذا

الأمر فيما بعد؟... لا. في الواقع لقد خططنا لزيارة بعض الفنادق الأخرى. سنغيب طوال العطلة الاسبوعية».

انحبست أنفاسها. هل سيغيبان معاً في العطلة الأسبوعية؟ لم تكن تظن ذلك. إنه يتحجج بذلك فقط ليقنع أمه.

أقفل الهاتف بعد لحظة: «الأمور تخرج عن السيطرة».

- ربما، ولكن يبدو أن خطتنا تنجح، فهي تشعر بتحسن كبير، أليس كذلك؟

- سترهق نفسها إذا أقامت حفلة في العطلة الأسبوعية القادمة مهما كان عدد المدعوين قليلاً. على كل حال، أخبرتها أننا لن نكون في المدينة.

فتنحنحت: «هذا يبدو عذراً جيداً».

- عذر جيد؟

- أعني إذا ظنت أننا خارج المدينة فكأننا فعلاً خارج المدينة. أليس كذلك؟

- لكنني كنت أعني ذلك. سنذهب بالطائرة إلى لوس أنجلس أو سان دييغو ونقيم هناك في الفندق.

فقالت معترضة: «ربما تعوّدت أن تأمر مستخدميك، لكنني لا أتلقى الأوامر منك».

- ماذا؟

- ربما لديّ خططي الخاصة للأسبوع القادم.

- أحقاً؟

توقف ذهنها عن التفكير. لابد أن هناك ما تدّعيه: «عليّ أن أراجع مفكرتي».

- هيا يا موللي. ليس هناك ما لا يمكن تأجيله. سبق وألغيت زيارتك

إلى المنتجع. دعني أعوّضك عن ذلك برحلة إلى فندقنا في «سان دييغو». إنه رائع ويقع على شاطىء خليج «ميشين» تماماً، حيث الزوارق والرمال الذهبية ووجبات الطعام التي تبهج الحواس.

فقالت ضاحكة: «أنت تتحدث وكأنك مندوب تجاري».

- أنا فخور بفنادقنا، وخصوصاً ذلك الفندق.

- لماذا ذلك الفندق بالذات؟

- لأنه فندقي. لقد اقتنيته منذ مات أبي، وبنيت له شهرة بأفكار مبتكرة. وهو الآن أحد أكثر فنادقنا شعبية.

ثم أوقف عربة تحمل أطعمة ليطلب لها نوعين إضافيين. وكانت قد ابتدأت تشعر بالشبع لكن الطعام كان من اللذة بحيث لم تشأ أن تتوقف.

سألته: «هل السعي وراء المال هو الذي أملى عليك أن تشتري فندق «سان دييغو؟»».

فهز رأسه: «كان ذلك مقامرة. الفنادق التي تركها أبي كانت ناجحة، ولكن ليس بشكل كبير. كان المال قليلاً نوعاً ما، فابتدأت التمس تمويلاً لها. لكني عندما وجدت فندقاً معروضاً في السوق، اشتريته».

- مجازفة.

- طبعاً، ولكن إذا أردت شيئاً من كل قلبك فهو يستحق كل مجازفة.

- ولكن لماذا أردته؟ أعني ألم يكن ما لديك كافياً؟

- كان كافياً فعلاً، لكنها كانت من إنشاء أبي وجدي من قبله. فأردت شيئاً يثبت أن بإمكاني أنا أيضاً أن أنشىء شيئاً مختلفاً. أردت شيئاً لأظهر للموظفين في كل الفنادق التي أعرفها أن بإمكاني أن أقود الشركة للتغيير، وأن بإمكاني أن أقود الشركة في اتجاه جديد وأجعلها مزدهرة.

- وقد نجحت، لأن «فنادق ماغيللان» ذات شهرة عالمية.

أومأ بهدوء ثم وضع قطعة حلوى أخرى في صحنه.

ـ هل كان ذلك مخيفاً؟

ـ بل كان تحدياً.

كانت تعلم أن الرجال ينظرون إلى الأمور بشكل مختلف. ولكن أن يعرّض الرجل شركة ناجحة للخطر، من خلال مجازفته بمشروع جديد، فإن ذلك يستلزم عزيمة وإرادة قوية وثقة بالغة بالنفس.

ـ هل ستأتين إذن لتري فندقي؟

ـ يمكننا أن ندّعي أننا سافرنا إلى هناك، إذا لم يجب أي منا على هاتفه أثناء تلك العطلة. أمك لن تعرف أبداً أننا في المدينة، كما أنه ليس بإمكانها الخروج لتتجسس علينا.

ـ أنا أودّ أن تأتي معي.

ولم تتوقع ذلك فسألته: «لماذا؟».

ـ لكي تري الفندق. لقد فاتتك الرحلة إلى المنتجع، فدعيني أعوضك عن ذلك لعونك لي في الخروج من مأزقي.

ـ لكنك فعلت ذلك بشراء سبع لوحات.

وهزت رأسها ومازالت ذاهلة لعمله ذاك.

ـ لوحة الزورق ستكون رائعة في ردهة فندق سان دييغو. تعالي معي يا موللي انظري إليها هناك.

رن جرس هاتفه مرة أخرى فقال متذمراً وهو يفتح الخط: «تباً، ألا يمكن للمرء أن يأخذ نهار عطلة؟».

سُرّت موللي لانقطاع الحديث. لم تستطع أن تتصور نفسها تمضي عطلة نهاية الأسبوع مع نك.

حتى ولو كانت علاقتهما مختلفة، هي ليست من نوع النساء اللاتي يمضين عطلات نهاية الاسبوع مع الرجال، وعلاقتهما ليست كما يدّعيانها. ولكن إذا أمكنها أن تملي بعض الشروط فهل تجرؤ على اغتنام

الفرصة؟ لم تنزل قط من قبل في أي من فنادق «ماغيللان»، وربما لن تنزل فيها أبداً في المستقبل، فهي غالية الأجر. فلماذا لا تطلق لنفسها العنان مادامت علاقتهما رسمية أمام الناس وكل منهما يعرف حدودها؟.

ـ سأكون هناك حالاً.

اخترقت أفكارها كلمات نك هذه فنظرت إليه وهو يقفل الهاتف ويقول: «عليّ أن أذهب».

ثم رفع يده يستدعي النادل ليدفع الحساب.

ـ ماذا هناك؟ هل هي أمك؟.

أترى حدث لأمه شيء بين المكالمتين؟

ـ لا. دوني أمسك بشخص يعتقد بأنه هو من يختلس النقود من البار. وأنا أود أن أتحدث إليه قبل أن نستدعي الشرطة.

كانت المسافة من المطعم إلى «ساحة يونيون» قصيرة للغاية فأوسع نك خطواته.

ـ أليس من الأفضل أن تدع الشرطة تستجوبه؟

ـ بلى، لكنني أريد أن أقابله أولاً. فقد اختلس من فندقي.

وصلا إلى الفندق فتوجه نك رأساً إلى المصعد الذي اتجه بهما إلى الطابق الثالث عشر.

ـ هل مكتب الفندق في الطابق الثالث عشر؟

سألته وهي تفكر في أنهم لو كانوا سألوها لاختارت الطابق الأخير لجمال المنظر.

ـ بعض الناس يتشاءمون من الرقم ١٣ لذا فهم يرفضون الإقامة في هذا الطابق، مع أن المنظر منه يضاهي الطابق الأخير جمالاً.

قال هذا بشرود فأدركت أن أفكاره كانت منصبة على ما أخبره به دوني.

كانت المكاتب فخمة، رائعة ولون الجدران رمادياً فاتحاً علّقت عليه أعمال فنية أصلية، وفرشت الأرض بسجادات سميكة. كانت مكاتب «زنتك» الفاخرة مخصصة فقط للموظفين الرفيعي الشأن.

أما في فندق ماغيللان، فجميع الموظفين يستمتعون بهذه الأمكنة المرفهة.

خرج نك من المصعد وبعد لحظة كان يدفع باب أحد المكاتب.

وقفت موللي عند الباب ونظرت إلى الداخل، فرأت دوني واقفاً بجانب النافذة وقد تبدّل من الرجل اللطيف إلى رجل حازم مخيف مثل نك. أخذا يحملقان في الرجل الجالس على كرسي أمام المكتب والذي كان يتململ ارتباكاً وقد بدا عليه التوتر. حاول أن يبدو شجاعاً لكن الرهبة كانت تتملكه إزاء الرجلين الواقفين أمامه.

ـ سأنتظر في الخارج.

تمتمت موللي بذلك وهي تتراجع مغلقة الباب خلفها، ثم جلست بجانب مكتب السكرتيرة. وأخذت تفكر.

مع نك لا يمكن للسأم أن يتملكها. إنه يثير فضولها يوماً بعد يوم. هو ممتع ويتصرف بمرح وذهن خالٍ من أي هم، لكنها تعلم أن ذلك مجرد تمثيل، وأنه دوماً وراء مظهره السطحي، يركّز على أولوياته. وعمله كان في القمة.

أخذت تفكر متأملة وهي تنصت إلى أي صوت قد يصدر عن المكتب.

حتى الآن، لم تكتشف أي دلالة على مناورة أو تملق لأجل مكسب كما كان الحال مع جاستين.

قطبت جبينها، متمنية لو أنها لم تفكر في جاستين. لم يكن حكمها صائباً عليه. كيف فكّرت يوماً في أنه يحبها، أو أنها تحبه؟

إنها تعرف الآن... وتوقف ذهن موللي عن التفكير.

لا، لم تكن تريد أن تقول إنها تعرف الآن الفرق. فهي لا تعرف شيئاً ولن تفكر في ذلك والواقع أنها لم ولن تحب نك بايلي!

ليس بينهما أي قاسم مشترك. ولولا الرجل الذي اختلس نقود البار ما تعارفا. وهكذا عقدا اتفاقية مؤقتة لتسريع شفاء أمه. وهذا لا يعني حتى أن عليهما أن يكونا صديقين.

فهي لا تحبه!

نهضت.. ونظرت إلى الباب ثم اتخذت قرارها. هو لن يفتقدها أبداً. وعليها أن تنشىء لنفسها حياة خاصة بها، حياة بعيدة عن تأثير نك المزعج والأفكار المتعلقة به.

أخذت ورقة عن المكتب وكتبت كلمة سريعة، وتركتها حيث يراها نك، ثم انطلقت خارجة كالسهم. بقاؤها مع نك أشبه باللعب بالنار. وما دامت بلغت هدفها فقد أصبح عليها أن تخرج من حياته بأسرع وقت ممكن، ذلك أن من الجنون المستحكم أن تنمي أي شعور نحو ذلك الرجل.

لكنها حتى وهي تنزل بالمصعد، خافت من أن يكون الأوان قد فات.

خرجت إلى أشعة الشمس، لكن البهجة بالنهار بدّدها القلق من أن تكون قد ارتكبت خطأً فادحاً مثل الوقوع في حب ذلك الرجل.

قد يفيد الهواء النقي في إخلاء ذهنها من الحماقات، لكنها بقيت تفكر في كل دقيقة أمضتها مع نك. من الرقص بين ذراعيه الليلة الماضية إلى أول مرة رأته فيها، إلى المعانقات التي تبادلاها.

أجفلت حين رفعت رأسها فرأت نفسها أمام بيتها، فهو يبعد عن «ساحة يونيون» أميالاً. اندفعت إلى الداخل ثم أخذت تقرع جرس شيلي بنفاد صبر، ففتحت هذه لها الباب بدهشة.

- هيه موللي. ظننتك خرجت اليوم مع ذلك الرجل؟

اندفعت موللي إلى الداخل واتجهت إلى غرفة الجلوس وهي تقول: «أنا غاضبة للغاية».

- ألم ينجح موعدكما؟

قالت شيلي هذا وهي تنظر إلى موللي التي كانت تذرع الغرفة بضيق.

فلوّحت بيدها: «بل كان بأحسن حال حتى قُبض على اللص وأظنني وقعت في غرام ذلك الرجل المدمّر».

- أحببت لصاً؟

- لا... بل نك بايلي.

فابتسمت شيلي: «وما هي المشكلة إذن؟ سبق وأخبرتك أن الوقوع في حب رجل ثريّ هو بنفس سهولة الوقوع في حب رجل فقير. فكري كم سيسعدك أن تمضي الليل في فندق مختلف متى شئت!».

- لا يهمني أبداً النزول في الفنادق، فأنا أملك شقة رائعة في هذا المبنى.

- لكنك لن تمكثي فيها إذا تزوجت نك. لا أظنه سيرغب في السكن هنا.

- الزواج؟ نحن أبعد ما يكون عن الزواج. أنت تعرفين غايته من كل هذه التمثيلية. ما إن تشفى أمه حتى يقول الوداع يا موللي.

- وربما لا. بدا لي أنه يعزّك عندما جاء ليأخذك. هل عانقك مرة؟

هزت موللي كتفيها: «ربما مرة أو اثنتين. لكن ذلك لا يعني شيئاً. لقد عانقني جاستين، لكن ذلك لم يسفر عن شيء أيضاً».

فقالت شيلي بجفاء: «ما كنت لأضع نك بايلي وجاستين في الخانة نفسها. إنهما غير متشابهين بشيء».

توقفت موللي عن السير ونظرت إلى صديقتها: «ماذا سأفعل؟».

- بأي شأن؟

- هجر جاستين لي بذلك الشكل الفظ آذى شعوري. لكن هذا الأمر الآن أكبر بكثير، شيلي. نحن نتحدث هنا عن قلبي.

تقدمت شيلي منها تحتضنها بسرعة، وأشارت إلى الأريكة: «اجلسي لنتحدث عن ذلك. ربما بإمكانك أن تجعليه يحبك».

- آه، لا. أنت لم تري كارمن... لتعرفي نوع النساء اللاتي يعاشرهن. صدقيني سأتوقف عن رؤيته الآن. ألا تظنين أنني ربما أتخيّل كل ذلك، وأن كل هذا مجرد أمنيات تساورني كردة فعل لهجر جاستين لي؟

- بكل تأكيد. المثل يقول: بعيد عن العين بعيد عن القلب. يمكنك أن تبقي بعيدة عنه طوال الأسبوع مشغولة بعملك، وفي العطلة الأسبوعية اذهبي إلى المنتجع كما خططت سابقاً. عند ذلك تكون أمه قد تعافت تماماً فتخرجين من المشكلة!

أومأت موللي، وحاولت أن تشعر بالحماسة لاقتراح شيلي. بإمكانها أن تشرع برحلتها المُرجأة، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير في عطلة أسبوعية في أحد «فنادق ماغيللان» في «سان دييغو».

قالت ببطء: «لقد اشترى كل لوحاتي».

- ماذا؟

- ذهبنا إلى المرفأ فتذكر أن «معرض صامويل» للفنون يعرض بعض أعمالي، فذهبنا إليه واشتراها جميعها.

حدقت شيلي إليها: «أنت تمزحين!».

- لا. حتى إنه لم يساوم. وقد طلب مني اللوحة التي أرسمها حالياً، أيضاً.

- آووه... يا لها من لفتة شاعرية!

www.elromancia.com

واتسعت عيناها وهي تفكر في هذا الخبر.

ـ لا، بل هذا مجرد عمل. لديهم لوحات جميلة في فنادقهم، وهي نسخ أصلية، وهو يريد أن يضيف لوحاتي إلى مجموعة الفندق، ماعدا اللوحة التي أنهيتها لتوّي، فقد قال إنها لمجموعته الشخصية.

ـ ربما عليك أن تبرئيه فأنت لم تري منه سوءاً. فأنا لم أسمع قط عن شخص اشترى مجموعة أعمال كاملة لفنان غير معروف نسبياً.

ـ لقد رأيت مدى قسوته مع كارمن. وكان عليك أن تريه عندما دخل علي اللص... لم يُظهر أي رحمة على الإطلاق. وأنا لا أريد أن أكون يوماً ما في ذلك الموقف. إذا قطعت علاقتي به الآن، بإمكاني أن أنساه بسرعة. ربما أنا أسبغ معنى عاطفياً على الأمر كله، لا سيما وأننا استمتعنا معاً هذا الصباح.

فقالت شيلي بحيرة: «أنا لا أفهمك».

قفزت موللي واقفة: «ولا أنا أفهم نفسي. سأذهب إلى بيتي وأعدّ كوباً من الكاكاو وأفكر في كيف عساني أنسى نك بابلي».

وقفت شيلي هي أيضاً ورافقت موللي إلى الباب: «امنحي نفسك فرصة. أنت فتاة رائعة يا موللي، ولا أدري لماذا لا يقع في غرامك».

احتضنتها موللي قائلة: «أنت صديقة مخلصة. أتريدين أن نذهب إلى السينما معاً هذا الأسبوع؟ سيكون لديّ وقت فراغ».

ـ أحقاً لن تريه مجدداً؟

ـ وما الفائدة؟ لا أظن فعلي هذا ينبيء عن ذكاء كبير. يمكنه أن يخبر أمه أننا نرى بعضنا البعض ويختلق شيئاً عن انشغالي البالغ عن زيارتها. وعندما تشفى، يخبرها بأننا انفصلنا.

وابتسمت، آملة بألاّ تلحظ شيلي الكآبة التي تغلف قلبها. ثم اتجهت إلى شقتها.

ولكن رغم كلماتها الشجاعة، اغرورقت عيناها بالدموع وغاص قلبها بالألم. كانت مغرمة بالرجل. ويا له من مأزق! حاولت أن تخرج من وضع سيء فأوقعت نفسها في وضع أسوأ. هذا بالإضافة إلى أنها تشك في أنها ستنساه في فترة قصيرة.

وعندما انفردت بنفسها في غرفتها، سارت إلى اللوحة وهي تمسح دموعها. لقد أعجبه عملها، وهو يريد هذه اللوحة ليضمها إلى مجموعته الخاصة.

عندما ينظر إليها، هل سيفكر في الفنانة التي رسمتها؟ أم أنه سيرى فقط الصباح البارد في «حديقة البوابة الذهبية» العامة؟

رن جرس الهاتف، فتجاهلته. ثم استمعت إلى الرسالة التي تركها المتصل: «موللي، أنا نك. هل أنت في البيت؟ اتصلي بي عندما تصلين».

ثم أقفل الخط. سارت إلى الهاتف وأعادت إدارة الصوت مصغية إلى صوته، ثم محته.

لن تنوح عليه كالمراهقات.

استدارت، ورفعت الصورة. غداً ستأخذها وتؤطرها، ثم تضعها في صندوق وتشحنها إلى عنوانه.

وهكذا ينتهي هذا الأمر.

* * *

٩ ـ فردوس استوائي

مع حلول يوم الأربعاء، ابتدأت موللي تفكر في أنه كان عليها أن تواجه نك وتوضح له أنها تريد إنهاء هذه الاتفاقية. لقد ساعدها ليلة واحدة، ومن المؤكد أن كل ما ساعدته به حتى الآن قد سدّدت به حسابه عليها.

كانت يوم الثلاثاء قد فتحت المجيب الصوتي إذ لم يعد بإمكانها إيقاؤه مقفلاً لكثرة رسائل نك التي محتها دونما الاستماع إليها.

ربما سترسل إليه رسالة قصيرة، وبذلك لا تضطر إلى رؤيته مرة أخرى، بل توضح له أن علاقتهما انتهت، وأن عليه أن يختلق قصة لأمه كي يفسر لها سبب فسخ خطبتهما.

وكلما أسرعت بذلك كان أفضل، فهي تمضي من وقتها في التفكير به أكثر مما تمضيه في العمل. لقد أمضت في تأمل هذا التخطيط أمامها عشر دقائق دون أن تتذكر ما يمثّل.

وفجأة، تملكها القلق فرفعت نظرها وإذا بها ترى نك يجتاز القاعة المكشوفة، وكأنه مالك شركة «زنتك». ولكن حتى المالك لا يسير بهذه الغطرسة.

وضعت القلم من يدها واستجمعت شجاعتها. بدا رائعاً كعادته، وأقرب إلى القرصان الغاضب. التقت نظراته بنظراتها فلم تستطع أن تشيح بنظرها. ربما كان عليها أن تجيب على مكالمة واحدة على الأقل.

قال دون تحية وهو يقف بجانب مكتبها ويحملق فيها: «هل المجيب الصوتي في هاتفك معطل أم أنك لا تجيبين؟».

فرطبت شفتيها الجافتين مجيبة: «ولماذا أفعل هذا؟».

ـ هذا سؤال حسن ليس لدي جواب عليه. أحاول الاتصال بك منذ يوم السبت. لماذا خرجت بذلك الشكل المفاجىء؟

ـ لم أكن أعلم كم سيستغرق التحقيق مع الرجل الذي تشك فيه. هل كان مذنباً؟ هل هو الشخص الذي اختلس النقود؟

ـ نعم، وهو في حراسة الشرطة الآن.

ـ عمل دوني في البار انتهى الآن؟

أومأ وقد ضاقت عيناه قليلاً، ثم نظر إلى ساعته وقال: «حان وقت الغداء تقريباً، أحضري حقيبتك وسنذهب لنتغدى معاً».

كانت تعلم أن عليها أن تعترض، ففتحت فمها لترفض وإذا بجاستين يظهر. كان مؤخراً يعمل مع ناثان في عمل فني، لكنه استمر ينظر باتجاه موللي.

نظرت إلى نك بابتسامة حب متألقة: «ما أجمل هذا يا حبيبي! كم أحب ذلك».

تناولت محفظة يدها وهي تقول: «فليكن مطعماً عادياً، لأن ثيابي لا تليق بمكان فخم».

ثم تأبطت ذراعه وهي تخفق له بأهدابها. توترت عضلات ذقنه: «مسرور جداً يا حبيبتي لأنك منحتني من وقتك».

ـ وقتي كله لك، يا حبيبي.

قالت هذا بصوت مرتفع ليسمعه جاستين ويقتنع بأنهما، هي ونك، مازالا حبيبين!

عندما استدار، رأى نك جاستين، فأومأ باتجاهه ثم نظر أمامه.

ـ ما الذي يجري يا موللي؟ تتجاهليني حتى تعود حاجتك إلي فتتمسكي بي لتخدعي خصمك.

ـ خصمي؟

ـ أعني جاستين.

ـ نك، أنت دعوتني إلى الغداء، ونحن مخطوبان على كل حال، فلماذا لا يسرني أن أرى خطيبي؟

ـ أخبريني أولاً لماذا تجاهلت مكالماتي؟

سكتت حتى أصبحا في المصعد، فتخلّت عن مظهر الشغف الذي كانت تتظاهر به. وكان الراكبان الآخران في المصعد يجعلان من الحديث بينهما مستحيلاً، فانتظرت حتى يصبحا وحدهما.

ثم قالت له وهما يسيران نحو «ماركت ستريت»: «كنت مشغولة هذا الأسبوع».

ـ مشغولة إلى حد أنك لم تستطيعي الاتصال بي لتخبريني بأنك مشغولة؟ أو لتجيبي على مكالمات أمي؟

ـ مكالمات أمك؟

لم تكن أصغت إلى المكالمات بعد اليوم الأول ظناً منها أنها كلها منه: «لم أكن أعرف».

ـ إنها تريد جواباً لاقتراحها إقامة حفلة عشاء صغيرة في العطلة الأسبوعية القادمة.

ـ أنا خارجة من البلد.

ـ هذا ما أخبرتها به. سنذهب إلى سان دييغو لنشرف على تعليق لوحاتك.

توقفت عن السير، متجاهلة دفع الناس لها وهي تقف فجأة، وحملقت فيه: «ماذا فعلت؟»

أمسك بذراعها يقودها على الرصيف المزدحم: «تحدثنا عن ذلك يوم الأحد، ومن المؤكد أنك لم تنسي ذلك».

ـ أنت اقترحت ذلك لكنني لم أقل قط إنني سأذهب.

ـ لقد حجزت تذاكر لصباح السبت الباكر، وستعود مساء الأحد.

ـ يالوقاحتك! لكنني لن أذهب معك يا نك. إنها خطبة زائفة، هل نسيت؟

ـ هل هذا ما يقلقك؟ لقد حجزت جناحاً بغرفتي نوم. شرفك مصان معي، يا موللي.

ـ لا، ليس هذا ما يقلقني.

وسكتت فجأة وقد أدركت ما كانت ستقوله. آخر ما تريده هو أن تنبئه بأنها تعاني من تغير مشاعرها نحوه. ألن يبهجه هذا الخبر؟

ـ ماذا إذن؟

ـ أنا ذاهبة إلى المنتجع هذه العطلة. ذلك الذي كنت سأذهب إليه من قبل.

قالت هذا بشيء من الفظاظة.

ـ تعالي معي إلى سان دييغو.

رفعت بصرها فرأت حدة المشاعر في نظراته وبدت عيناه وكأنهما تخترقان أعماقها. سألها: «ألم تذهبي إلى سان دييغو قط؟».

هزت رأسها وقد سمرتها نظرته. وقالت: «سمعت أنها جميلة».

ـ «خليج ميشين» ساحر للغاية، وفندق «ماغيلان» مصمّم لكي يسحر السحر نفسه. قولي إنك ستأتين.

حوّلت نظراتها بعيداً، محاولة أن تتذكر سبب رغبتها في الابتعاد عنه. حتماً لا ضرر هناك من عطلة أسبوعية... كما أنها ستحظى بفرصة كي تزور سان دييغو... ترى لوحتها في ردهة فندق شهير... وتقضي عطلة

www.elromancia.com

أسبوعية مع نك. سوف تراه في مكانه الطبيعي، صاحب الفندق المهيب، متباهياً بأحد فنادقه. ربما ستشمئز منه فيصبح من السهل عليها أن تقول له مساء الأحد وداعاً.

لكن هذه الاستنتاجات توقفت: «لا أستطيع الذهاب».

- إما هذا وإما تلك الحفلة في بيت أمي.

- لا. هذا غير ممكن. أخبر أمك بأننا راحلان، ثم اجلس في بيتك ولا تجب على الهاتف.

- كما فعلت أنت طوال الأسبوع؟

فقالت رافضة الإقرار بالهزيمة: «كنت مشغولة».

تنحى نك جانباً وأشار إلى موللي بالدخول إلى مكان لبيع الشطائر. انضما إلى الصف بانتظار ما يريدان شراءه، فنظرت حولها ورأت شخصاً يعمل معها.

كانت غالباً ما تأكل في هذا المكان، وكانت تعلم أن كثيرين من موظفي «زنتك» يفضلونه على سواه. وعندما لوّح لها زميلها بيده ردّت عليه بالمثل. ثم التفتت إلى نك، آملة بأن تبدو مستمتعة بوقتها وليس غاضبة. إذا أنهت علاقتها مع نك، ستسري الأقاويل عنها في العمل! لقد تعبت من كونها مصدراً للشائعات والأقاويل.

سألها: «هل هو من أصدقائك؟».

- زميل في العمل.

ثم تقدمت بطلبها، وانتظرت حتى طلب نك ما يريده ودفع ثمن الشطيرتين والشراب، ثم سارا ينتظران ما طلباه.

- هل نأكل في الخارج؟

سألته ذلك، غير راغبة في التحدث في مثل هذا المكان المزدحم. من يدري من سيسمعهما؟

- يمكننا أن نذهب إلى «إمبراكاديرو» إذا شئت.

كان لطيفاً سمح الخلق. وتمنت لو أنه متغطرس كعادته أحياناً، فذلك يسهّل الأمور عليها.

- أي تهديد ستستعمله معي لإرغامي على الذهاب إلى سان دييغو؟

بدا الهزل في عينيه: «تهديد؟ ألا تصلح الدعوة البسيطة؟»

فهزت رأسها بحذر: «لا أريد أن أذهب».

- ألا تريدين الذهاب بشكل مطلق أم أنك لا تريدين الذهاب معي؟

سكتت قليلاً ثم قالت: «معك».

- قلت لك ليس هناك ما تخافينه.

- مجرد وجودي معك يجعلني أخاف.

- آه، والسبب؟

كان قلبها يخفق ونبضها يتسارع لمجرد وجودها بقرب نك، فكيف يكون الأمر لو أمضت نهاية الأسبوع معه؟ كانت واثقة من أنهما سيحصلان على أفضل خدمة. وسان دييغو معروفة بتألق شواطئها ومناظرها الطبيعية وجوّها الدافىء... وهي لن تحصل على مثل هذه الفرصة مرة أخرى. كما أنها سترى لوحتها معروضة في الردهة، وستمضي أياماً أخرى مع نك بايلي.

ونظرت موللي إليه مرة أخرى: «لا بأس، صباح السبت سننطلق إلى سان دييغو، كيف حال أمك؟».

- تتحسن بشكل ملحوظ.

- لن يكون علينا إذن أن نتابع هذه التمثيلية لفترة طويلة؟

هز كتفيه. ولسبب ما لم يشأ أن يعطي موللي موعداً يمكنهما فيه أن ينهيا هذه (التمثيلية) كما تسميها. صحة أمه كانت تتحسن بسرعة، وقد تحدث مع طبيبها أمس فأخبره هذا بأنها ستستعيد عافيتها تماماً في أسرع

وقت.

كان نك أذكى من أن يعتقد أن صحة أمه ستنهار حين يخبرها بأنه وموللي انفصلا، لكنه كذلك لا يريد أي انتكاسات. واستمرارهما لمدة أطول ليس فيه أي ضرر.

سألها: «هل هناك رجل آخر تفضلين رؤيته؟».

ـ طبعاً لا. بعد خدعة جاستين، أتظني أريد الخروج مع رجل بهذه السرعة؟ هذا مستحيل.

ـ ما الداعي إذن إلى الإسراع في إنهاء اتفاقيتنا؟

أخذ يتأمل ملامحها، متمنياً لو استطاع أن يقرأ الأفكار. ما الذي يجري داخل رأسها هذا؟

لقد عادت عليه هذه الاتفاقية بفوائد كثيرة. فكارمن توقفت عن إزعاجه، وأمه تتماثل للشفاء، كما أصبح لديه مرافقة للمناسبات الاجتماعية، مرافقة لم يكن يتوقعها، ولا تحاول التأثير عليه على الدوام.

وهذه الصفة الأخيرة كانت مفيدة أكثر مما كان يتوقع في البداية. ربما كان عليه أن يعقد خطبة مماثلة منذ وقت طويل.

قال ببطء: «أنا، في الواقع، غير مستعجل على إنهاء الخطبة».

نظرت إليه بدهشة: «هل تمزح؟ لِمَ لا؟».

ـ ولماذا ننهيها؟ إنها تمنحنا حماية ضد الآخرين، ويجد كل منا شخصاً يقوم معه بنشاطات دون ارتباط.

نظرت بعيداً وهي تنهي آخر قضمة من شطيرتها: «أنا أفهم رغبة الرجال في عدم الارتباط، لكنني أريد أن أتزوج يوماً ما ويكون لدي أولاد. أريد أن أشيخ أنا وزوجي».

قطب نك جبينه إذ لم يعجبه أن يتصور موللي في سن الشيخوخة مع أي رجل. إنها شابة رائعة الجمال مليئة بالحيوية. بإمكانه أن يراها مع

أولاد، ويعلم أن عينيها تتألقان بهجة بهم، وستكون مرحة خالية البال، وتملأ أولادها بالبهجة.

حاول أن ينسى تلك الصورة، لكنها لم تفارق خياله.

سألها: «لا أحد يقول إنه لا يمكنك الحصول على ذلك. ولكن هل أنت مستعدة للقيام بذلك الآن؟».

ـ الآن... فيما بعد... من يعلم متى يأتي الحب؟

ـ الحب شعور عاطفي بالغوا في تقديره تمنحه النساء لتجميل الغرائز الأساسية التي ترافق البشر.

قالت مازحة: «رجل ساخر».

فأجاب باللهجة نفسها: «امرأة حالمة».

فقالت وهي تنهض واقفة: «مسموح للفنان بذلك. لا بأس، لقد بلغت هدفك، لأننا سنذهب معاً إلى سان دييغو. عليّ أن أعود الآن إلى عملي. سأراك صباح السبت. هل أوافيك إلى المطار؟».

فقال وهو ينهض هو أيضاً: «آه، لا. لن أجازف بذلك. إذ ربما تكتشفين أنك مشغولة جداً. سآتي لآخذك عند السادسة».

ـ صباح السبت؟ إنه اليوم الذي أتأخر فيه في النوم.

ـ تقلع طائرتنا عند الثامنة صباحاً. أظنك تحبين تضييع النهار سدى. يمكننا أن نكون على الشاطىء في سان دييغو قبل الغداء.

لم تكن موللي معتادة على مثل هذه الرحلات العفوية، فهي نادراً ما تذهب في إجازة وفكرة الطيران إلى سان دييغو للاستلقاء على الشاطىء عند الظهر ملأتها بهجة.

لقد حصل نك على هدفه، وهي ستذهب معه في العطلة الأسبوعية المقبلة. كيف حدث هذا؟ في عطلة الأسبوع يحصل الكثير.

افتتنت موللي بسان دييغو تماماً كما توقع نك، حتى عندما رأتها من

الطائرة. كان الهواء أكثر دفئاً ورقّة من هواء سان فرانسيسكو الجاف. كما كانت أشجار النخيل تتهادى على جانبي الجادّة التي كانت سيارة الفندق تنطلق بهما فيها إلى الفندق. كانت النباتات المتعرشة تغطي جدران البيوت وتحيط بأبوابها، فيزيد ذلك في بهجة النفس.

عندما وصلا إلى فندق «ماغيللان سان دييغو» تلقيا استقبال الأمراء. طبعاً كان المستخدمون يعرفون نك، وربما هو يلقى تلك المعاملة في كل مكان. لكن البهجة تملكت موللي إزاء هذا الترحيب الحار.

كانت النافذة الواسعة تطل على الشاطىء، في ميناء خليج «ميشين» الهادىء حيث عشرات العائلات تستمتع بالشمس والمياه المنعشة. وكانت مياهاً زرقاء مغرية للغاية.

وقف نك عند عتبة الجناح، ينظر إليها، ويداه في جيبيه: «أتريدين الذهاب للسباحة؟».

التفتت إليه بابتسامتها المتألقة: «بكل تأكيد. سأغير ملابسي حالما تصل حقائبنا. إنه فندق جميل».

ـ فلنأكل أولاً، ثم نمضي طوال فترة العصر على الشاطىء إذا أحببت. ويمكننا فيما بعد أن نتسكع في أنحاء البهو لتختاري المكان المناسب لتعليق لوحتك. لقد اخترت لوحة «الزورق» لهذا الفندق.

أومأت وهي تعود لتتأمل المياه. لديهما أكثر من أربع وعشرين ساعة معاً وهي تريد أن تستغل كل دقيقة.

عندما وصلت الحقائب، ارتدت ثوب السباحة ثم لبست فوقه ثوباً فضفاضاً، ورفعت شعرها إلى أعلى ولبست صندلاً خفيفاً. ثم عادت إلى غرفة الجلوس في الجناح وانتظرت حضور نك وهي تتمشى في أنحاء الغرفة المترفة، معجبة بالأثاث وحس الأناقة في كل قطعة.

ـ جاهزة؟

سألها من الباب المؤدي إلى غرفته. كان يرتدي سروالاً قصيراً قطنياً.

ـ جاهزة!

قادها إلى مقهى خارجي ومظلل بالأشجار والمظلات يطل على الخليج. وكانت أصص الأزهار المتألقة منتشرة في الفسحة، فشعرا بأنهما يتناولان الطعام في فردوس استوائي.

نظرت موللي في قائمة الطعام وقالت: «أريد سلطة قريدس. إنه الشيء الوحيد الذي يناسب هذه الجلسة. ما أجمل المكان هنا! أنا متلهفة إلى الرسم...».

وأشارت بيديها إلى أنحاء المكان. كم تحب أن تمسك بيديها ظلال لون المياه الأزرق بدرجاته المختلفة، حمرة وصفرة الأزهار، وخضرة الشجر الداكنة. كانت هذه وليمة لحواسها.

قال لها نك بعفوية: «عودي إلى هنا مرة أخرى وارسمي هذه المناظر».

كانت عيناه مختفيتين خلف نظارات قاتمة فتساءلت عما يفكر فيه. هل يُحتمل أن يعودا معاً ذات يوم؟ أم أنه يعدّ الأيام حتى تنقضي أمه فينخلص منها؟

عندما انتهى الغداء، انتقلا إلى الشاطىء الذي كان مزدحماً بالعائلات والعشاق. لكنهما رأيا، أثناء سيرهما، كرسيين خاليين، فنشرا عليهما المنشفتين اللتين أحضراهما معهما في الفندق.

حاولت موللي أن تبقي نظراتها على المياه، لكن جاذبية نك كانت قوية للغاية. كان لون جسده بلون العسل، وكان واضحاً أنه تعرض للشمس عدة مرات قبل أن يأتي في هذه الزيارة إلى فندقه.

خلعت ثوبها وركضت إلى الماء المنعش، وسرعان ما غطست فيه تخفف حرارة جسمها، وتحاول أن تركز اهتمامها على أي شيء ماعدا

نك.

لكن هذا لم يكن سهلاً إذ مالبث أن وافاها نك، بعد أن غاص إلى الأعماق ليبرز بجانبها: «هذا حسن».

قالت هذا وهي تختبر الماء وتنظر حولها. ومرة أخرى انجذبت نظراتها إليه. وبجرأة، مدت يدها تلامس كتفه، فسألها: «هل أنت مسرورة لمجيئك؟».

ـ نعم.

كانت فترة العصر رائعة. تخبّطا في المياه، وسبحا إلى الأعماق الباردة، واستلقيا في الشمس فترة على الشاطىء، وسرعان ما انتقلا إلى تحت مظلة واسعة ليتجنبا حروق الشمس.

كان الحديث بسيطاً متقطعاً. لكن جلستهما كانت مريحة للغاية بحيث لم تستطع أن تمنع نفسها من التعاس. انتبهت، ونظرت إلى نك، وكان هذا يتأملها:

ـ ربما كان عليك أن تنامي هذا الصباح.

ـ آه، لا. ما كنت لأغيّر شيئاً هذا اليوم. يمكنني أن أنام غداً، أليس كذلك؟

ـ كما تشائين. لكن هناك مركباً سيخرج صباح غد في نزهة قصيرة. ظننتك ربما تحبين ذلك.

ابتسمت حالمة. إنه يتصرف كخطيب حقيقي... يبحث عن أشياء بهيجة يقومان بها في هذه العطلة الأسبوعية، هل سيتجاهل شروطها فيما بعد ويطلب أكثر من ذلك؟ وتمنت ألاّ يحدث هذا... سيفسد كل شيء.

ـ نك بايلي، ماذا تفعل هنا؟ ظننتك لا تترك مكتبك أبداً.

رفع نك بصره ثم مدّ يده مصافحاً. كان سام بيركنز أحد أصدقائه منذ أيام الجامعة، لكنه لم يره منذ استلم الفنادق بعد وفاة أبيه.

ـ وماذا تفعل أنت هنا؟ ظننتك لم تغادر لوس أنجلس قط.

فقال سام بزهو: «أنت تعلم أنني تزوجت. وعندما يتزوج الرجل لا يمكنه العمل طوال الوقت».

وأشار إلى شقراء جميلة تلاعب طفلاً يدرج على الشاطىء: «نك هي ستيفي وطفلنا جويل. أريدك أن تتعرف إليها. لم أصدق عيني حين رأيتك تسبح منذ فترة، ولم أكن متأكداً من أنه أنت».

ابتسم نك ونظر إلى المرأة الجميلة. تعلق بصره لحظة بالصبي الصغير الذي كان يركض إلى الماء دون خوف، لتختطفه أمه حين أخذ يركض. وضحك الاثنان وكأنهما يستمتعان باللعبة. ثم عادت توقفه على قدميه، ومرة أخرى توجه نحو الماء.

كان نك وسام في فريق السباحة في الجامعة، معاً. وبعد ذلك أنشأ سام شركة استيراد وتصدير في لوس أنجلس مختصة بالفن الأسيوي. وكان آخر رجل يتوقع منه نك أن يتزوج. وتذكر مدى دهشته عندما تلقى الدعوة إلى زفافه، رغم أنه لم يستطع تلبية الدعوة. وكان ذلك منذ ثلاثة أو أربعة أعوام.

والآن أصبح لدى سام ابن.

وشعر نك بانقباض في صدره. إنه في السادسة والثلاثين، وهو يكبر في السن وكما تقول أمه دوماً، كان لدى والديه طفل في سن الدراسة عندما كانا في عمره.

نظر إلى موللي التي جلست لتلقي التحية: «سام، أقدم إليك موللي ماغاير. موللي، سام صديق قديم، كنا معاً في الجامعة».

ـ سررت بمعرفتك، يا موللي.

قال سام هذا وهو يمد يده مصافحاً. ثم نقل نظراته بينهما وهو يرفع حاجبه مستفهماً بصمت. فقال نك: «أنا وموللي خطيبان».

ربت سام على كتفه: «حان الوقت لذلك. هذا خبر عظيم. تهانيّ! موللي، لقد حصلت على رجل هائل. لماذا لا تتعشيان معنا أنا وستيفي؟ يمكننا أن نحتفل بذلك بشكل مناسب في مطعم «كوف» طبعاً.

قال هذا ذاكراً أحد مطاعم الفندق فأومأ نك: «عند السابعة؟».

ـ عظيم. سأراكما هناك.

وابتسم لهما، ثم اتجه إلى حيث زوجته وابنه.

راقبهم نك لحظة، ثم نظر إلى موللي التي كانت تتأمل الأسرة مفكرة. العشاء مع سام وزوجته سيخفف من مفعول العشاء مع موللي وحدها. أليس لديها فكرة كم تبدو مذهلة في ثوب السباحة ذاك المؤلف من قطعتين؟ وحوّل نظراته عنها مرة أخرى متسائلاً عما إذا كان بحاجة إلى غطسة أخرى في الماء ليبرّد أحاسيسه الملتهبة.

أغمض عينيه وحاول أن يفكر في شيء آخر. في أي شيء ماعدا موللي وبشرتها الذهبية، وشعرها الرطب المكوّم فوق رأسها. كم كان يودّ أن يفكّه ويسدله على كتفيها، ويدفن وجهه فيه ويتشمّم رائحتها.

لكنه سينفّذ رغبتها، إلا إذا أبدت رغبة في تغييرها.

قالت: «كان ينبغي أن تقول إنني مجرد صديقة».

فالتفت إليها: «ماذا؟ ما الذي تتحدثين عنه؟».

ـ لم يكن ضرورياً أن يظننا مخطوبين. إنه الآن سيتساءل عن المستقبل.

ـ هذه مسألة سهلة.

فتمتمت وهي تغمض عينيها: «طبعاً».

كان نك يعلم أن سام متزوج، لكن رؤيته له مع زوجته وابنه جعل ذلك حقيقياً. وغيّر نظرته إلى صديقه القديم.

نظرة سام المزهوة حين تحدث عن زوجته وابنه اخترقت صميم

الموضوع. سام يحب حياته الزوجية. يحب كونه زوجاً وربّ أسرة وتساءل نك عما إذا كان سيحب هو أيضاً شيئاً كهذا.

* * *

لم تعرف موللي ما إذا كان الثوب الذي أحضرته معها للعشاء جيداً بما يكفي. كانت تظن أنها ونك سيجلسان فقط في مطعم هادىء. وهي، بكل تأكيد، لم تتوقع أن تمثّل دور الخطيبة المغرمة أثناء تناول العشاء مع صديق قديم. وهذا لا يعني أنها لا تريد أن تتناول العشاء مع الزوجين، فهي بهذا ستعرف المزيد عن نك.

ولكن إلى أي حد؟ تساءلت وهي تحدق في صورتها في المرآة. كان الاسمرار يكسو وجنتيها وأنفها نتيجة قضاء عصر هذا النهار في الشمس. كوّمت شعرها على رأسها باختلاف قليل عما كان عليه بعد الظهر، فقد تركت بعض الخصلات تنسدل على كتفيها. تعمدت أن تبدو مغرية قدر إمكانها.

ألا ينبغي على الخطيبة أن تبدو مغرية؟ إنها جاهزة، وليلتهب قلب نك شوقاً لامرأة عابرة. لكنها ترجو أن يتمكن قلبها هي من التماسك...

* * *

١٠ـ أطول ليلة

كانت ردة فعله حين دخلت غرفة الجلوس هي كل ما كانت موللي ترجوه. شعرت بنظراته وكأنها تدغدغها، وأضاءت عيناه استحساناً. ثم إذا بمشاعر جياشة تدور بينهما.

رفعت موللي رأسها بعناد، رافضة أن تدع هذا يثبّطها: «أنا جاهزة إذا كنتَ كذلك».

ـ لم تلبسي الخاتم.

ـ لم أحضره معي. لم أتوقع أنني سأحتاجه.

ـ سنتوقف عند متجر مجوهرات قبل أن نصل إلى المطعم، ثم نختار شيئاً.

ونظر إلى ساعته: «لدينا وقت كاف».

طرفت موللي بعينيها. سيذهبان إلى متجر مجوهرات في منطقة التسوّق بجانب الفندق ثم (يختاران شيئاً!).

ـ يمكننا فقط أن نخبرهما بأنني لم أحضر خاتمي.

فهز رأسه: «من غير المعقول إثارة التساؤلات».

وعندما دخلا المتجر بعد ذلك بلحظات، كانت تظن أنهما سيبحثان عن خاتم بين المعروضات، لكن نك قادها إلى حيث الجواهر الممتازة. وطرفت بعينيها.

حتى متى سيتابع هذه التمثيلية؟: «خاتم زائف يكفيني».

ـ من حظنا أن ستيفي صائغة وتميز الزيف من مسافة ميل. فكري في سمعتي!

فقطبت جبينها: «لا أظنها ستقول شيئاً».

ـ ليس في وجهي ولكن لزوجها حتماً. ثم يذكر هو ذلك في مكان ما، وسرعان ما سيظن الساحل الغربي بأكمله أنني لم أشتر لخطيبتي خاتماً حقيقياً.

ـ حتى يحين ذلك الوقت سنكون افترقنا.

ـ أرني أجمل ما عندك.

قال نك هذا مخاطباً البائع الأنيق الذي تقدم منهما، وسرعان ما كان عرض جميل من الخواتم الماسية أمامهما. ونظرت هي مسرورة إلى هذه المختارات. يا ليتها فقط لخطبة حقيقية! وياليتهما كانا يختاران خاتماً يرمز إلى حبهما المشترك! ... خاتماً يدوم طوال سنوات حياتهما معاً... خاتماً يورثانه لابنهما أو ابنتهما.

اغرورقت عينا موللي بالدموع. يُفترض أن تكون هذه لحظة فريدة بالنسبة إلى أي ثنائي، وتمنت من صميم قلبها لو أن هذه اللحظة حقيقية بينها وبين نك.

ـ أي خاتم يعجبك؟

لامس صوته أحاسيسها وهو يقف بجانبها وكأنه يحميها.

ـ كلها جميلة.

لم تسأل عن الثمن، خصوصاً وأحد موظفيه هنا. وتملكها شعور بالارتياح. سيتمكن حتماً من إرجاعه حالما ينتهي العشاء. ما أغباها وهي تظنه سيشتري الخاتم فعلاً!

ـ أعجبني ذاك.

وأشارت إلى خاتم سوليتير بسيط لكنه، في عينيها، بدا مذهلاً في بساطته هذه.

ـ ألا يعجبك هذا؟

والتقط نك خاتماً آخر مبهرجاً صارخ الجمال. إنه يناسب كارمن تماماً. لكنه لا يناسبها هي، كما أخذت تفكر غاضبة.

هزت رأسها وأشارت إلى الخاتم الذي أعجبها... كان مناسباً تماماً على إصبعها.

ـ لا حاجة للانتظار لتعديل القياس.

قال الموظف هذا باسماً وهو يناول الخاتم لنك ثم يقف منتظراً.

نظر هذا إليه، ثم إلى الخاتم، وبعد ذلك إلى موللي. رفعت بصرها إليه، متظاهرة بأن الأمر حقيقي، وبأنه يحبها حقاً، وأنهما سيمضيان حياتهما معاً.

وببطء، أمسك بيدها ودسّ الخاتم في إصبعها دون أن يحوّل عينيه عن عينيها. الدموع في عينيها أوشكت أن تنهمر، فأخذت تغالبها بسرعة، محاولة أن تبتسم.

عندما مال إلى الأمام، أغمضت عينيها وكان عناقه رقيقاً وبداه دافئتين وهو يداعب وجهها.

قال الموظف: «تهانيّ لكما».

طلب نك منه أن يرسل إليه الفاتورة، فأومأ هذا بابتسامة عريضة. وتكهن نك بأن الرجل سرعان ما سيخبر الجميع أنه اشترى خاتم خطبته من متجره!

عندما اتجها إلى المطعم، بدت موللي هادئة. نظر إليها وهو يتساءل عما تفكر فيه. لقد أدهشته الدموع في عينيها. أتراها تأسف لأنه ليس رجلاً آخر؟ أم لأن هذا مجرد تظاهر زائف؟

كان يظنها ستتباهى بخاتم ثمين، ومع ذلك اختارت خاتماً بسيطاً. وبدا هذا جميلاً في إصبعها. ربما عندما يفسخان خطبتهما، سيترك لها الخاتم.

وتملكه إحساس بالرضا وهو يفكر في أنها تلبس خاتمه.

تكلم مع رئيس الندل في الفندق بهدوء فأسرع هذا بإرشادهما إلى المائدة التي كان سام وزوجته ينتظرانهما عندها. وعندما وصلا قام بينهم التعارف، وسرعان ما طلب الطعام ودارت الأحاديث.

كان الفضول يتملك سام بالنسبة إلى خطبة نك. فراح يطرح ألف سؤال وسؤال، حاول نك أن يجيب عليها قدر إمكانه من الغموض. وحالما سنحت الفرصة لنك، حوّل الحديث إلى سام وزواجه. وفي هذا، بدا سام محدّثاً مفوّهاً. وكانت ستيفي ودوداً ومسرورة لمدح زوجها الزواج. وأخيراً، كبحت جماحه وغيّرت الموضوع بمهارة.

أخذ نك يراقب التفاعل بين صديقه القديم وزوجته. كان واضحاً أنهما متلائمان وسعيدان معاً. هل هذا جزء من الزواج لم يفكر فيه؟

ألقى نظرة سريعة على موللي، وتصور حالهما بعد شهور وسنين. لقد انجذب إليها كثيراً، ومع ذلك لم يفكر قط في الزواج. ولكن حين يصبح مستعداً لذلك، هل سيختار امرأة مثل موللي؟

ونبذ تأملاته وأخذ يستمتع بمشاركة الزوجين العشاء. مر المساء بسرعة. وودع الأربعة بعضهم البعض عند المصعد مع وعود غامضة بلقاء آخر قريب.

تعانقت المرأتان. لقد تحدثتا عن أشياء كثيرة أثناء السهرة، كما فكر نك.

قالت وهما يصعدان إلى جناحهما: «إنهما ظريفان، خصوصاً سام. أراهن على أنهما يضحكان كثيراً في بيتهما».

ـ لقد أعجبته السهرة هذه الليلة.

ـ همم...

ـ هل أنت متعبة؟

ـ نعم، قليلاً. لكن هذا لا يعني أنني لن أذهب إلى السباحة غداً.

ـ تأخري في النوم إذا شئت، وسنذهب إلى السباحة حين تكونين جاهزة. رحلة العودة لن تكون قبل آخر العصر، وبهذا يمكننا أن نمضي على الشاطىء وقتاً وافراً.

فتح نك باب الجناح وتنحنى جانباً لتدخل قبله. مرّت بالقرب منه نشم عطرها، فتبعها وأغلق الباب إزاء العالم أجمع.

لو كانا مخطوبين حقاً، لما سمح للمساء بأن ينتهي.

وقفت وسط غرفة الجلوس، ثم نظرت إليه: «شكراً على هذا النهار. كان رائعاً».

ـ بالفعل.

واقترب منها يمدّ يديه إليها، وعندما أصبحت بين ذراعيه عانقها بشدة. كان يريد أن يفعل ذلك طول السهرة، أن يعانقها ويحتضنها ويلامسها حتى لا يتمكن أي منهما من التفكير.

كان وجهها متوهجاً وعيناها متألقتين بالمشاعر المحمومة. لكن يدها كانت تدفعه عنها: «عليّ أن أخلد إلى النوم».

ولم يكن الحزم خافياً في لهجتها.

قال برقة: «اسهري معي».

فهزت رأسها بأسف: «لا أستطيع. لا أستطيع».

وببطء، تنفس بعمق، متمنياً لو أن بإمكانه أن يطفىء مشاعره بنفس السهولة التي فعلت هي هذا. تركها واستدار مبتعداً بغضب وخيبة أمل، وقد حلّ الإحباط مكان المشاعر المحمومة منذ لحظات.

ـ تصبح على خير.

ثم هربت. وسمع صوت بابها يصفق، فسار إلى الباب آسفاً. ما أطولها من ليلة ستمرّ به!

* * *

استيقظت موللي في الصباح التالي وبقيت مستلقية لحظات تتذكر ليلة الأمس. لم يسبق لها من قبل أن أمضت عطلة الأسبوع بهذا الشكل. ونظرت في أنحاء أجمل غرفة في فندق رأتها في حياتها. كان طراز الأثاث فرنسياً، واللوحات على الجدران كانت نسخاً أصلية زيتية والسجاد سميكاً وثيراً، والشرفة تمتد على طول الجناح.

نهضت وفتحت باب الشرفة فاندفع إلى الداخل هواء الصباح البارد المنعش، ينفخ في الستائر المخرمة. إذا كان نك مستيقظاً، ربما بإمكانهما أن يتناولا الفطور على الشرفة، لأن مشهد البحر رائع. كان أزرق داكناً يمتد إلى ما لا نهاية.

أخذت معطفها المنزلي وذهبت لترى إن كان نك مستيقظاً.

فتحت الباب المؤدي إلى غرفة الجلوس فتملكتها خيبة الأمل حين لم تجده هناك. لكن باب غرفة نومه كان مفتوحاً. ربما هو مستيقظ ينتظرها.

اجتازت الغرفة، فسمعت صوته. هل معه أحد؟ وقفت عند الباب ونظرت إلى الداخل. كان نك خلف مكتبه بكامل ملابسه ويتحدث في الهاتف

ـ شكراً للتقرير. سأدع البقية للمحامي... أنا لم أرها، لكنني حتى لم أتناول الفطور بعد. كنت أعرف أن وراء ذلك أكثر مما يبدو في الظاهر، وأنا لم أثق بها قط. أنت تعلم أنه لا يمكن أن تخدعني كذّابة تافهة. هي تعلم الشروط.. ليكن الماس بديلاً لأي مبلغ آخر.

تراجعت موللي إلى حيث غابت عن النظر. إلى من كان يتحدث نك؟ ومن هي التي يتحدث عنها؟ وخفق قلبها ظناً أنها هي المقصودة بالحديث. لم يثق بها قط، وأكثر من مرة كان يحقق في دوافعها. أتراه يفكر في أنها ستحاول أن تقوم بشيء ما ضده لتحصل على المال؟

استندت إلى جانب الباب، عالمة أنه ما كان لها أن تسترق السمع، لكنها لم تستطع منع نفسها.

ـ نعم، حسناً، ربما كان من الأفضل أن تمكث فقط لتسجيل المبالغ المدفوعة وتتحرى عن كل امرأة أخرج معها. وبهذا لا يكون عليّ أن أدفع أجراً لكل امرأة أخرج معها، أكثر من مرة. الماس ليس رخيصاً.

سمعت موللي ما يكفي، فعادت إلى غرفتها وقد ثار غضبها. كيف يجرؤ على التفكير في أنها تريد ماساً؟ ورفعت يدها وحملقت في الخاتم. ثم انتزعته من إصبعها بعنف وكادت تلقي به من باب الشرفة إلى الخارج. لكنها عادت فكبحت نفسها، فألقت به على السرير ثم ذهبت لترتدي ثيابها.

لم تطلب منه أن يحضرها إلى هنا. أخذت تتمتم بذلك وهي تحزم أمتعتها. لم تطلب منه أن يشتري لوحاتها ويعرضها في ردهات فنادقه. وأخذت تزفر غضباً وهي ترتدي ملابسها بسرعة قياسية. لم تطلب الدخول في هذه الخطبة الزائفة اللعينة. لم تطلب سوى ليلة واحدة من الإدعاء.

سرحت شعرها وهي تنظر إلى المرآة بعينين شاردتين. كان شكّاكاً، إلى حد لا يمكنها معه أن تصدق ما يقول. وهي غير مستعدة لأن ترفع دعوى خرق عهد. هل مازال الناس يفعلون ذلك؟

ولكن ربما يعتبرها صائدة ثروات. وتوقفت عن تسريح شعرها والفرشاة في يدها. ألا يفترض دوماً أن بإمكانه أن يشتري هذا وذاك ليصل إلى ما يريد؟

خبطت الفرشاة على الطاولة وكادت تذهب لمواجهة الرجل، لكنها عادت فغيّرت رأيها. الأفضل أن ترحل فقط. تذكرت حماستها لشراء خاتم يرمز إلى شيء غير عادي... لكنه، بدلاً من ذلك، رآه هو ثمناً لسكوتها.

كانت تؤدي خدمة لأمه. ولكن لا، فقد كان عليه أن يظنها تهدف إلى أكثر من هذا. يبدو أن تحريات دوني لم تكن كافية، فطلب المزيد. حسناً، فليتفضل ويتسلم تقريره وخاتمه وادعاءاته الغبية.

نظرت حولها لتتأكد من أنها لم تنس شيئاً. ثم حملت حقيبتها الصغيرة والخاتم وخرجت.

كان لا يزال يتحدث عبر الهاتف. وضعت الخاتم على المكتب حيث كانت واثقة من أنه سيراه، إذ لم تشأ أن تضيف صفة السرقة إلى رأي نك السيء فيها. ودون تردد، غادرت الجناح واتجهت إلى حيث موقف سيارات الأجرة، وبعد وقت قصير كانت في طريقها إلى المطار. كان عليها أن تشتري تذكرة سفر، ولكنه ثمن قليل تدفعه لتمكنها من الرحيل على الفور.

شعرت وكأنها تلقت صفعة. لقد وقعت في غرام رجل ظنها صائدة ثروات. لقد حاولت مساعدة امرأة مريضة، فظن أن في ذهنها هدفاً آخر. كيف تحب رجلاً كهذا؟ ومع ذلك كانت تحبه! والألم في قلبها لم يكن يُحتمل. هي لن ترى نك مرة أخرى، وكادت هذه الفكرة تثير جنونها. إنها تحبه!

سافرت موللي إلى سان جون ومن ثم اتجهت إلى بيت والديها. كانا لا يزالان في رحلتهما البحرية. ستتفحص البريد، وتسقي النباتات وتمكث في غرفتها القديمة. كانت تختبيء، لكنها لم تعبأ بذلك. ستتصل بعملها غداً وتأخذ يوم عطلة، أو ربما أياماً وتبقى بعيدة عن نك بايلي.

١١ ـ سؤال وحيد... ممنوع!

عندما أقبل الخميس، كانت موللي على شفير الجنون. لقد اقتلعت الأعشاب الضارة من أحواض زهور أمها وأجرت تنظيفاً شاملاً للبيت. قرأت بعض الكتب وزارت جيرانها، لكن الملل كان يقتلها.

كانت تحلم بنك ليلاً ونهاراً، وتفكر فيه دون انقطاع. حاولت جاهدة أن تشغل نفسها لكن ذلك لم يبدّد صورته من ذهنها، ولا ذكرياتها معه.. من المرح على الشاطىء إلى يومهما ذاك في شارع المرفأ، ولقائها بأمه، ورؤيتها صور طفولته وسماعها تسجيلات صوته وهو يتحدث بشكل مضحك أثناء طفولته.

لكنها ستنسى كل ذلك. لم تعرف ذلك الرجل إلا مدة أسابيع. وما أسرع ما ستنسى هذا الافتتان السخيف وتعود إلى وضعها السابق المستقر المتزن! وكلما قرع جرس الهاتف، لن تتوقع أن يكون هو. وكلما سمعت صوت سيارة في الشارع، لن تتوقع أن تكون سيارته.

ربما هي تهتم بهذا الرجل أكثر مما يجب. هل حاول قط أن يتصل بها بعد عودته إلى سان فرانسيسكو؟ أم تراه فهم من تركها الخاتم أن علاقتهما انتهت؟

تساءلت عما تراه أخبر أمه.. أم أنه مازال على ادعائه كي تتحسن صحتها بسرعة؟

عندما رن جرس الهاتف بعد ظهر الخميس، تملكها الإغراء في أن

تدعه يرن. هاتف والديها مزوّد بمجيب صوتي وكل أصدقائهما يعرفون أنهما في رحلة لم يعودا منها بعد.

ـ آلو؟

ـ موللي، أنا بريتاني. أرجو أن يكون كل شيء على ما يرام.

بريتاني! فأجابت: «طبعاً، لِمَ لا؟».

ما الذي جعل بريتاني تتصل بها؟ وكيف حصلت على رقم موللي؟

ـ حسناً، أنت لم تأتي إلى العمل طوال الأسبوع وهذا ليس من عادتك. يبدو أن لديك مشاكل. هل هناك ما يمكنني أن أساعدك به؟

تشبثت موللي بالسماعة: «هل جاء نك؟».

ـ يومياً، ولكن في أوقات مختلفة، وقد غادر الآن لتوّه. كان يبدو متلهفاً. أخبرته بأنني سأرى كيف يمكن أن أساعده.

ـ ما أحلى هذا التطوّع منك!

وأرادت موللي أن تصرف بأسنانها. كانت تعلم سبب تطوّع بريتاني هذا... لمزيد من الأقاويل. وقالت: «آسفة، عليّ أن أذهب».

ووضعت السماعة. لم تستطع أن تصدق أن بريتاني اتصلت بها. كانت تعلم أنها تبحث عن معلومات للثرثرة، ولكن هل ما قالته صحيح؟ هل يذهب نك إلى شركة «زنتك» يومياً؟ ورن جرس الباب.

عندما فتحت موللي الباب، تنهدت: «كان عليّ أن أعلم. لماذا تأخرت؟»

وابتسم دوني: «لديّ زبائن آخرون، لكن نك ابن خالتي. حاول أن يقوم بالعمل وحده، لكن إحساساً داخلياً تملكني. هل يمكنني أن أدخل؟».

ترددت موللي لحظة، ثم هزت كتفيها. وماذا يهم لو دخل دوني أو لم يدخل؟ إنه يعلم وضعها الآن... فردوسها الآمن قد تبخر.

دخلت أمامه إلى غرفة الجلوس حيث جلست على كرسي وأشارت إلى الأريكة. وجلس على الحافة ونظر حوله، ثم إليها: «أتريدين أن تخبريني لماذا هربت بذلك الشكل؟».

- وهل هذا يهم؟

- كلا، في الواقع. لكنه لا يبدو طريقة مناسبة.

- بسبب تحرياتك الواسعة؟

ضاقت عيناه للحظة: «ظننت أننا تجاوزنا ذلك. لم نكن نريد أن نقدم إلى الخالة إيلين فتاة غريبة تماماً».

- أعني التحريات الجديدة.

فهز رأسه: «أنت تحيرينني! لم أسأل عنك سوى مرة واحدة، بعد يوم من حفلة «زنتك»

تأملته لحظة، ثم تملكها الشك: «سمعت نك يتحدث معك يوم الأحد».

- لقد أخبرته بأحدث أخبار الاختلاس، فقد ظهر أن هناك شخصين متورطين. كان نك قد قرر مواصلة التحري.

- سمعته يتحدث عن ماسة.

وعندما أومأ قالت: «هذا ما جعلني أرحل».

فقطب جبينه: «لماذا؟».

- أخبرتك لتوّي بالسبب.

- هل غضبت لأن كارمن احتفظت بالقلادة الماسية التي قدمها إليها في عيد الميلاد؟

- كارمن؟

فأومأ قائلاً: «نك يبحث عنك، فهو لا يعلم لماذا رحلت. قصد شركة «زنتك»، ثم بيتك»

- ثم أرسلك في أثري؟

- لا، بل أنا من اتخذ المبادرة. فإذا لم تنجح، لا أريد أن ينقطع أمله.

تملكها الاضطراب. أي أمل؟ ولماذا يهتم نك بأحد سوى أمه؟

نظرت إلى يديها، ثم عادت تنظر إلى دوني: «كانت تلك خطبة زائفة، وأنت تعلم ذلك. أنا لم أعرفه قط قبل تلك الليلة».

- أهكذا؟ أظنه يهتم لأمرك، ربما أكثر مما يدرك هو. لقد هزه رحيلك.

- لم أكن أنوي أن...

وأغمضت عينيها قبل أن تقول أكثر مما يجب...

- أظنه سينام بشكل أفضل إذا سمع خبراً منك، أو رآك. امنحي الرجل فرصة يا مولليّ، وانظري إلى أين يؤدي بك هذا.

ونهض دوني محيياً: «أنا عائد إلى بيتي. الحياة في سان فرانسيسكو مزعجة جداً بالنسبة إلى رجل من لوس أنجلس».

نظرت إليه وهو يرحل، متسائلة متى يتصل بنك.

عندما مرّ عصر ذلك النهار ولم يرن الهاتف، ابتدأت تعتقد أن دوني لم يخبر ابن خالته بمكانها. إذا لم يخبره، ما هو السبب؟

(أظنه يهتم لأمرك) هذا ما قاله دوني. وعندما ألقت بنفسها على السرير تلك الليلة، دون أن تستطيع النوم، احتلت ذهنها صور مختلفة لنك. ثم صورة معينة... عندما اشترى لها الخاتم ووضعه في إصبعها تماماً كما لو كانت خطبة حقيقية!

وجلست منتصبة.. ماذا لو كان نك يحبها؟ ماذا لو كانت تُبعد عنها الشيء الوحيد الذي تريده أكثر من أي شيء في العالم؟ كيف يمكنها أن تعلم؟

يمكنها أن تسأله.

عادت تستلقي على الوسائد، وتفكر أنها تقول له: «أنا أحبك. ما هو شعورك نحوي؟».

ربما سيضحك في وجهها، هذا إذا لم يتهمها بمحاولة القيام بشيء لتحصل على نقوده. في الواقع، كان اهتمامه مركزاً على هذا الأمر. ولمَ لا، مادامت كل النساء اللاتي عرفهن كن يتقربن منه لِهذا الأمر؟

هي ليست كذلك، ولكن هل يعلم هذا؟ لقد احتاجت إلى مساعدته تلك الليلة وهذا كل شيء. وفي اليوم التالي طلب المساعدة فمنحتها له بسهولة، رغم أنه كان دوماً يتحدث عن التعويض لها.

ماعدا أنه توقف عن ذلك مؤخراً... أتراه غيّر رأيه فيها؟

كم تمنت أن تكون خطبتهما حقيقية، لكنها لم تتصوره يفعل ذلك. ولماذا يستسلم رجل أعمال صارم إلى التخيلات العاطفية؟ هل لمجرد تمثيل دور أمام بائع مجوهرات؟ لا تظن ذلك.

جلست في سريرها مرة أخرى، ونظرت إلى الساعة. كانت الواحدة بعد منتصف الليل. فات الأوان على الذهاب إلى أي مكان الليلة.

(أظنه سينام بشكل أفضل إذا سمع خبراً منك)! هل لدى نك اضطرابات في النوم أم أنها طريقة دوني في القول إن نك قلق عليها.

بل أكثر من مجرد قلق إذا كان يذهب يومياً إلى شركة «زنتك»... كم هو فظيع بالنسبة إليه أن يضطر إلى الاعتراف بأنه لا يعرف مكانها! لقد قال مرة إن المرء إذا أراد شيئاً، فهو يستحق أي مجازفة. أتراه يجازف من أجلها؟ إلى أي حد هي متلهفة إلى الحصول على نك؟

أشعلت النور ومدّت يدها إلى الهاتف. حاولت أن تطلب مساعدة الاستعلامات للعثور على الرقم، لكنها عادت فتوقفت، فهو لم يعطها أي رقم. ألا يتبادل الناس الذين يهتمون ببعضهم البعض أرقام هاتفهم؟

وأخيراً، جرّبت الفندق. وعندما سمعت الجواب قالت: «نك

بابلي».

- من المتكلم؟.

طرفت بعينيها. هل مازال في العمل في مثل هذه الساعة: «موللي ماغاير».

- لحظة من فضلك.

- بابلي.

كان صوته هو نفسه. وأغمضت عينيها تستمتع بسماعه: «مرحباً يا نك. هذه أنا، موللي».

ساد الصمت لحظة، ثم قال: «أين أنت بحق الله؟ ثم لماذا رحلت بذلك الشكل يوم الأحد الماضي؟».

وأدهشتها الخشونة في صوته.

-أنا في بلدي. لم أقصد أن أقلقك.

- ماذا ظننتني سأفعل عندما لا أجدك هناك؟ ظننت في البداية أنك اختُطفت. ثم قال شخص هناك إنك استأجرت تاكسي واتجهت إلى المطار.

- أنا... سمعتك تتحدث على الهاتف فأسأت الفهم.

- ما الذي تتحدثين عنه؟

- إنها قصة طويلة ويسعدني أن أخبرك بها غداً، هذا إذا كنت لا تزال تريد رؤيتي.

- نعم، هذه الليلة. يمكنني أن أكون في بيتك بعد عشر دقائق.

- أنا لست في شقتي. أنا في بيت أسرتي. سأعود إلى سان فرانسيسكو غداً. ويمكننا أن نتقابل...

- أين هو البيت؟ أنا قادم إليك الليلة.

- إنه في «فريمونت». رباه، لا يمكنك أن تقطع كل هذ المسافة

الليلة! إننا الآن بعد منتصف الليل.

ـ أنا مستيقظ وأنت مستيقظة، فماذا يهم الوقت؟ أعطني العنوان.

حالما وضعت السماعة، قفزت من السرير ثم ركضت إلى الحمام. نك سيأتي إلى هنا الليلة. لديها ثلاثة أرباع الساعة تقريباً لتغتسل وتغيّر ملابسها، ولم تستطع أن تصدق أنه رفض الانتظار إلى الغد. كان بإمكانها أن تشرح له الأمر عند ذاك أو حتى هاتفياً.

لكنه أصرّ على رؤيتها الليلة.

* * *

كانت موللي تراقب الطريق من نافذة غرفة الجلوس عندما صعدت السيارة في طريق البيت. وركضت إلى الباب تفتحه على اتساعه بينما كان ينزل من السيارة، وأخذت تنظر إليه وهو يتقدم نحو البيت بسرعة، وقلبها يخفق.

رآها فسارع خطواته: «إياك أن تفعلي هذا معي مرة أخرى».

قال هذا وهو يأخذها بين ذراعيه ويحتضنها بشدة لم تستطع معها أن تتنفس. تعلقت به بقوة، شاعرة بالذنب. لم تكن تقصد قط أن تقلقه. أبهجها عناقه، واستمتعت بحرارة جسمه وصلابته، متمنية أن تدوم هذه اللحظة إلى الأبد.

لكنها لم تدم، إذ سرعان ما تراجع عنها لينظر في عينيها.

ـ الأفضل أن يكون تبريرك لما فعلته مقنعاً.

لمست خديه وهي ترى القلق مازال في وجهه: «تبدو متعباً».

ـ لم يغمض لي جفن منذ ليلة السبت. لماذا رحلت بذلك الشكل؟

ـ ظننت أن لديّ سبباً وجيهاً. أتريد أن تدخل وتسمعه؟

نظر حوله في الظلام. لم يبد أن أحداً مستيقظ ولكن لم يكن هناك

سبب يجعلهما يتحدثان في الخارج: «إذا شئت».

تركها ودخلا المنزل وقادته إلى غرفة الجلوس. جلست على الأريكة وهو بجانبها.

قالت: «إذا كنت تريد أمراً بقوة فهو يستحق المجازفة. هل تتذكر أنك قلت لي هذا بنفسك؟».

فقال مقطباً: «ربما قلت شيئاً كهذا».

ـ المجازفات تكون مخيفة أحياناً.

ـ ما علاقة كل ذلك مع سان دييغو؟ هل كنت خائفة هناك؟

ـ لا، بل كنت سعيدة، لقد أمضيت وقتاً رائعاً.

ـ هل هذا هو سبب رحيلك بذلك الشكل صباح الأحد ذاك؟

ـ سمعت، في الواقع، حديثك مع دوني، أو جزءاً منه على الأقل. وظننتك تتحدث عني.

ـ كنا نتحدث عن المختلسين.

ـ وعن كارمن، كما قال دوني.

ـ هل تحدثت مع دوني؟

ـ كان هنا. ظننته سيخبرك.

ـ متى كان هنا؟ ولماذا لم يخبرني؟

ـ كان هنا اليوم ولا أعرف لماذا لم يخبرك. لكنه أخبرني بأنكما كنتما تتحدثان عن كارمن

فقال غير مصدق: «هل رحلت لأجل ذلك؟».

ـ لا. ظننتك تتحدث عني، وأنك تتوقع إقامة دعوى نقض عهد بالزواج وما شابه، وأنك ستمنحني حسابي الذي هو الخاتم الماسي الذي اشتريته لي، ومن ثم تتخلى عنّي. شعرت بالإهانة وثار غضبي فرحلت.

هز رأسه غاضباً، وحدّق إليها لحظة طويلة، أخذ بعدها غضبه يتلاشى

ببطء: «ظننت أننا اتفقنا على أن نستمر في هذه الخطبة».

- حتى تتحسن صحة أمك.

- أو يصبح لدينا سبباً جيداً يجعلنا ننهيها.

- كأن تجد امرأة أخرى، مثلاً؟

سألته وهي لا تتذكر هذه النقطة من الاتفاقية.

- أو تجدي أنت رجلاً آخر.

كان هذا غير محتمل، خصوصاً على المدى القريب. فقد كان نك يملأ أحاسيسها وعقلها، حتى أنها لا تستطيع أن ترى رجلاً آخر مكانه. جازفي! اغتنمي الفرصة! وقالت بجرأة: «قد لا أعثر على رجل آخر أبداً».

- ولا أنا.

حبست أنفاسها. ما معنى هذا؟

فقال برقة: «أو يمكننا أن ننهيها كما تنتهي الخطبة عادة».

- كيف؟

- بحفلة زفاف.

حدّقت إليه والأمل يتنامى في قلبها. كانت خائفة تقريباً من أن تسأل فيضحك عليها ويقول إنه كان يمزح لا غير. لكنها كانت الليلة تشعر بالجرأة: «زفافنا؟».

فأومأ إيجاباً، ثابت النظرات.

- بالزواج؟

قالت هذا، شاعرة بالغرفة تدور حولها. مدّت يدها لتلمسه... لتركزّ نفسها على الأرض.

- لأنني أحبك يا موللي، أريد أن أتزوجك. أريد هذه الخطبة أن تكون حقيقية حتى يعود والداك، وترانا أمي متزوجين. عند ذلك نعيش معاً إلى الأبد.

- آه...

- أهذا كل ما بإمكانك أن تقوليه؟

- أنا مذهولة، فأنا أواجه مجازفة كبرى كما ترى.

- بل يبدو أنني أنا الذي أواجه المجازفة فأنت لم تردّي عليّ بعد بنعم أو لا.

ضحكت وألقت بنفسها بين ذراعيه: «نعم، نعم، نعم، وألف مرة نعم. كنت سأقول لك إنني أحبك. كنت سأجازف بأن أُهجر مرة أخرى، بعد أن أفسدت كل شيء... وذلك بقولي...»

فقال راضياً: «... إنك تحبينني».

- أنا أحبك، أعبدك. هذا ما تريده، أليس كذلك؟ الحب حتى العبادة؟

- نعم، فأنت أسرتني.

منحته قبلة عذبة: «أنا لم أأسر أحداً من قبل».

- بل أسرتني منذ اللحظة الأولى. لم أدرك ذلك، ثم قاومت هذا الشعور. ولكن رحيلك غيّر كل شيء. بعد أن رأيت سام وستيفي معاً، بدأت أفكر في أنني أريد شيئاً مثل ذلك، وقبل أن أفكر في الأمر جيداً كنت أنت قد رحلتِ، وأدركت ما معنى الحياة من دونك. وكان هذا شيئاً لا أريده.

- وهذا ذكرني بشيء. اتصلت بريتاني اليوم. قالت إنك كنت تزور «زنتك» يومياً.

- هل أصبحتما، أنت وبريتاني، صديقتين؟

- لا، بل كانت تبحث عن أقاويل للثرثرة. لم أصدق أن لديها الجرأة لتتصل. هل كنت تذهب حقاً إلى هناك يومياً؟

- باحثاً عنك. ظننت نفسي ذكياً.

فضحكت: «أتصور ذلك».

وأخذت وجهه بين يديها: «آسفة لأنني هربت بذلك الشكل، ولأجل سبب خطأ أيضاً. لو كانت لديّ فكرة عن شعورك...».

ـ كيف تظنينني شعرت؟ لقد اشتريت لك خاتم خطبة.

فأومأت: «كان عليّ أن أفهم من قبل...».

أخرج من جيبه علبة فتحها وأخرجه: «لقد أحضرته. هل أعجبك حقاً، أم أنه فقط لتربه لسام وستيفي؟».

نظرت إليه ثم إلى الرجل الذي تحب: «طوال الوقت الذي كنا فيه هناك، كنت أتمنى لو أن الخطبة حقيقية».

ـ كانت عيناك دامعتين. سأتذكر ذلك دوماً.

قال هذا وهو يلبسها الخاتم مرة أخرى. ومرة أخرى نظرت هي إلى الرجل الذي تحب من خلال دموع السعادة.

ـ أحبك يا نك.

ـ أحبك يا موللي ماغاير.

لقد طلبت رجلاً طويلاً أسمر خطراً، وكان هذا أروع ما يمكن طلبه!

***

www.liilas.com